بعض آيات القدرة وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق في سورة الرعد

[دراسة تفسيرية تحليلية مقارنة]

إعداد:

الدكتورة / هناء عبد الله سليمان أبوداود

أستاذ التفسيروعلوم القرآن المساعد- جامعة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الصادق الوعد، الذي جعل لأوليائه الصالحين جنات الخلد، أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من عبد، وركع وسجد، وسعى وحَفَد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا بحث بعنوان:

بعض آيات القدرة وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق في سورة الرعد

[دراسة تفسيرية تحليلية مقارنة]

يا معلم إبراهيم علّمنا، ويا مفهم سليمان فهّمنا، ويا مؤتي لقمان الحكمة آتنا الحكمة وفصل الخطاب.

أهمية الموضوع وسبب اختياري له:

إن سورة الرعد من أعاجيب السور القرآنية التي تتحدث عن هذا الكون المليء الزاخر بآيات الله وعجائب قدرته سبحانه، وكم قرأت في هذه السورة مرارا وتكرارا ؛ ولكني الآن وبعد أن أمعنت النظر في آياتها وعرفت جانبا من مقاصدها أخذت من نفسي كل مأخذ وكأنها تقرع سمعي لأول مرة، فاشتاقت نفسي إلى دراستها دراسة تفسيرية متأنية، أغوص في أعماقها، وأنهل من معينها العذب.

ولقد جاء في سورة الرعد مثلان هما من أروع ما ضرب من الأمثال القرآنية دقةَ بيان وروعة أسلوب ووضوح معنى، وقد لفت انتباهي هذان المثلان اللذان ضربهما الله للناس من مشهود حياتهم التي يمرون عليها دون انتباه، وذلك لكمال العناية بعباده

واللطف بهم ولا يخفى ما لضرب الأمثال من أهمية في جلاء المعنى ووضوح الصورة. قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾. [سورة الرعد: ١٧]. وهذان مثلان ضربهما الله للحق والباطل.

كما اشتملت سورة الرعد على عدد من المواعظ وسنن الله في الكون، والتي حريٌّ بالمؤمن أن ينتفع ويعتبر بها.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى:

مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

- المقدمة: وتتضمن:

أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، وخطة الباحث، وعمل البحث.

- التمهيد: ويتضمن:

التعريف بسورة الرعد: مكيتها أو مدنيتها، عدد آياتها، محور السورة، أهم موضوعاتها ومقاصدها، مناسبتها للسورة للتي قبلها (سورة يوسف عليه السلام).

المبحث الأول: الدلائل السماوية على عظيم قدرة الله. [آية ٢].

المبحث الثاني: الدلائل الأرضية على عظيم قدرة الله. [آية: ٣، ٤].

ثم الخاتمة والفهارس.

- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

منهج البحث وعملي فيه:

تناولت **الآيات [٢ – ٤]** من سورة الرعد ودرستها **دراسة تفسيرية تحليلية مقارنة،** واتبعت في ترتيب البحث مايلي:

أوّلاً: أذكر أسباب نزول الآيات إن وجدت.

ثانيًا: أبين أوجه القراءات في الآية وأوجه الإعراب فيها إن وجد.

ثالثًا: أنقل أقوال المفسرين المختلفة وأقارن بينها، وأبين القول الراجح فيها، ثم أشرح الآيات شرحا إجماليا بناء على القول الراجح إن وجد.

رابعًا: أذكر أقوال العلماء والمفسرين من مراجعها الأصلية ؛ توثيقًا للنصوص وإرشاداً للقارئ إلى مظانِّها، وأعزو كل قول إلى قائله.

خامسًا: أعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان أرقام الآيات، والتزمت بكتابة الآيات بالرسم العثماني.

سادسًا: أقوم بتخريج الأحاديث النبويَّة الشريفة بعزوها إلى مصادرها، فإن كان الحديث في صحيحي البخاري ومسلم – رحمهما الله – أو في أحدهما اقتصرت على إضافته إليهما وإن كان في غيرهما فإني أخرجه مما تيسر لي، وأنقل حكم من حكم عليه من العلماء.

سابعًا: أترجم للأعلام قدر المستطاع، وذلك عند ذكره لأول مرَّة معتمدة في ذلك على كتب الرجال، وأشرت في الغالب إلى أربعة مصادر للترجمة مرتبة إياها على حسب تاريخ وفاة مؤلفيها. أما الصَّحابة فجميعهم عدول فلم أترجم لهم، وكذلك القراء .

ثامنًا: شرحت بعض المفردات الغريبة.

تاسعًا: استخدمت بعض الرموز للاختصار، وهي على النحو التالي:

(=) في نهاية الصفحة: أي يتبع.

(ط) وبعدها رقم، تأتي ضمن بيانات المرجع، وتعني الطبعة التي استعملت.

(ج) وبعدها رقم، تأتي ضمن بيانات المرجع، وتعني عدد الأجزاء.

(مج) وبعدها رقم، تأتي ضمن بيانات المرجع، وتعني عدد المجلدات.

(ط. د)، تأتي ضمن بيانات المرجع، إذا كانت طبعة المرجع غير معروفة.

(ت) وبعدها رقم، دلالة على سنة وفاة العلم المذكور.

والحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين

وما توفيقي إلا بالله

التمهيد

سورة الرعد السورة الوحيدة من سور القرآن الكريم التي تحمل اسم ظاهرة من الظواهر الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله ﷻ وسلطانه.

☒ **مكية السورة أو مدنيّتها:**

تعتبر سورة الرعد من القسم المختلف فيه(١)، وقد اختلف في نزولها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها مكية(٢)، سئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾. [آية: ٤٣]. أهو عبد الله بن سلام ؟ فقال: كيف ؟ وهذه السورة مكية(٣) .

وروي عن ابن عباس ﷺ أنها مكية إلا آيتين منها:

- قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ قَدْ.. ﴾

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن لمحمد بن بهادر الزركشي: ١ / ١٨٨، الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي: ١ / ٤٠. وقد ذكر هذا الخلاف غير واحد من المفسرين من غير أن يرجح إن كانت السورة مكية أو مدنية، ومن هؤلاء المفسرين: ابن الجوزي، القرطبي، الشوكاني، الآلوسي. ينظر: زاد المسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ٤ / ٢٩٩، تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: ٢ / ٢٣٨، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني: ٣ / ٦٣، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود شكري الآلوسي: ١٣ / ٨٤.

(٢) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء، وقال بذلك من المفسرين: السمرقندي، والسمعاني، والنسفي، والطاهر بن عاشور، وسيد قطب. ينظر: تفسير السمر قندي لأبي الليث السمر قندي: ٢ / ٢١٥، تفسير السمعاني لأبي المظفر منصور السمعاني: ٣ / ٧٥، تفسير النسفي لعبد الله بن أحمد النسفي: ٢ / ٢٠٩، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: ٢٠٥، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد بن الطاهر بن عاشور: ١٢ / ١٣٣.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الرعد (١١٧٧): ٥ / ٤٤٢.

إلى آخر الآية. [آية: ٣١].

- وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ... ﴾. [آية: ٤٣].

القول الثاني: أنها مدنية(١)، ويؤيد القول بأنها مدنية ما روي عن أنس ﷺ أن قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ... ﴾. آية: [٨]. إلى قوله تعالى: ﴿ ... وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ آية: [١٣].

نزل في قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل حين قدما المدينة على رسول الله ﷺ(٢).

وروي عن ابن عباس ﷺ أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ... ﴾. [آية: ٣١].

القول الثالث: المدني منها كثير(٣).

قال **السيوطي**(٤) في الإتقان:

---

(١) رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس ﷺ، وبه قال جابر بن زيد، وقال بهذا القول من المفسرين: النحاس، والطبري والزمخشري، والفخر الرازي، والبيضاوي، والسيوطي، وأبو السعود. ينظر: معاني القرآن لأبي جعفر النحاس: ٣ / ٤٦٥، تفسير الطبري المسمَّى(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ١٣ / ٩١، الكشاف لجار الله محمود بن عمر الزمخشري: ٢ / ٤٨٢، مفاتيح الغيب المسمّى (التفسير الكبير) لمحمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي: ١٨ / ١٨٤، تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) لعبدالله أبي عمر بن محمد البيضاوي: ٣ / ٣١٥، الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ٤ / ٥٩٩، تفسير أبي السعود المسمّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود: ٥ / ٢.

(٢) قال الهيثمي: " رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه... وفي إسنادهما عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف ". ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابن حجر الهيثمي: ٧ / ٤٢.

(٣) وقال بهذا القول من المفسرين: ابن عطية والثعالبي، ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن بن غالب بن عطية الأندلسي: ٣ / ٢٩٠، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ٢ / ٢٦٣.

(٤) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي الشافعي، أبو الفضل:=

" والذي يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها ". اهـ(١).

وقال **الزركشي**(٢) في البرهان:

" سورة الرعد يخاطب أهل مكة وهي مدنية ". اهـ(٣).

والظاهر: أن سورة الرعد مكية إلاَّ آيات منها نزلت بالمدينة، وهذا يظهر بوضوح في السورة ؛ سواء في موضوعاتها أو أسلوبها من الاستدلال على الوحدانية وقضايا العقيدة وتكبيت المشركين.

وقد ردَّ **الطاهر بن عاشور**(٤) الأسباب التي أثارت القول بأنها مدنية وذكر أنها أخبار

=إمام حافظ مؤرخ أديب، المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، له نحو ٦٠٠ مصنف؛ منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة، ومن تصانيفه: الدر المنثور، والإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، والجامع الضغير وغير ذلك. ت ٩١١ هـ. ينظر: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ العيدروسي: ١ / ٥١ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ابن العماد الحنبلي): ٨ / ٥١، الأعلام لخير الدين الزِّركلي: ٣ / ٣٠١.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٤٢.

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: لقطة العجلان، والبحر المحيط في أصول الفقه، البرهان في علوم القرآن وربيع الغزلان، والمنثور، والديباج في توضيح المنهاج، ت سنة ٧٩٤ هـ. ينظر: طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة: ٣ / ١٦٧، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: ٥ / ١٣٣، طبقات المفسرين ٢ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ١ / ٣٠٢، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي: ١ / ١٢٥ ٢٢٦.

(٣) البرهان للزركشي: ١ / ١٩٥.

(٤) ابن عاشور: هو محمد الطَّاهِر بن عَاشُور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس مولده ووفاته ودراسته بها، عُيِّن (سنة ١٩٣٢ م) شيخاً للإسلام مالكيًّا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير (في تفسير القرآن)، وصدر منه عشرة أجزاء والوقف وآثاره في=

واهية:

١. بعد التأكد من صحة قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل ظهر أن إسناد الخبر ضعيف ولا يعول عليه.

قال الطاهر بن عاشور:

" إن هذه أخبار ترجع إلى قول بعض الناس بالرأي في سبب النزول، ولم يثبت في ذلك خبر صحيح صريح فلا اعتداد بما قالوه فيها ولا يخرج السورة عن عداد السور المكية ". اهـ(١).

٢. تفسير قوله تعالى: ﴿ ... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ قَدْ.. ﴾ إلى آخر الآية. [آية: ٣١]. عند من جعل هذه السورة مدنية أن القارعة السرية من المسلمين التي تخرج لتهديد قريش ومن حولهم، لكن المعنى المراد للقارعة هنا الحادثة المفجعة بقرينة إسناد الإصابة إليها، وهي مثل الكارثة تحل بهم فيصيبهم عذابها، فليس المراد بالقارعة الغزو والقتال لأنه لم يتعارف إطلاق القارعة على موقعة القتال، ولذلك لا يوجد في الآية ما يدل على أنها نزلت بالمدينة.

٣. وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ ... وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. [آية: ٤٣]. أنه عبد الله بن سلام الذي آمن بالنبي ﷺ في أول مقدمه بالمدينة:

فيبعده أن السورة مكية كما تقدم، وقد تعددت أقوال المفسرين في تعيينه:

- فقالوا: هو ورقة بن نوفل.
- وقيل: هو جبريل عليه السلام.

=الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وموجز البلاغة، ومما عني بتحقيقه ونشره: ديوان بشار بن برد، أربعة أجزاء، وكتب كثيرا في المجلات وهو والد محمد الفاضل، ت ١٣٩٣ هـ. ينظر: الأعلام: ٦ / ١٧٤.

(١) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٥٨.

- وقيل: علي بن أبي طالب.
- وقيل: هو من اليهود والنصارى.

ولم يجمعوا على تعيين المقصود بأنه عبد الله بن سلام.

وقال الحسن ومجاهد والضحاك(١): هو الله تعالى. والصحيح في هذا أن: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم. ولا مانع من أن تكون السورة مكية، ومن آياتها آيات نزلت بالمدينة وألحقت بها فإن ذلك وقع في بعض سور القرآن (٢).

وكما رأينا جاء القول عن ابن عباس ﷺ تارة بمكية السورة، وتارة بمدنية السورة، وهما قولان يعارض أحدهما الآخر لكونهما صدرا من راوٍ واحد هو ابن عباس ﷺ(٣)،

---

(١) وكانوا يقرءون: (ومِن عِنْدِه علم الكتاب) وينكرون على من يقول: هو عبدالله بن سلام وسَلْمان ؛ لأنهم يرون أن السورة مكية وهؤلاء أسلموا بالمدينة. ورُوي عن النبي ﷺ أنه قرأ: (ومِن عِنْدِهِ عِلم الكِتابِ). وقد ردَّ ابن كثير هذه الرواية وقال: " لا أصل لها عن الزهري عند الثقات ". ويبدو أنها قراءة بالغة الشذوذ لعدم ورودها ضمن القراءات الأربعة عشر. ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد الدمياطي: ٣٤٠. وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ أنه قرأ كذلك: (ومِن عِنْدِهِ عُلم الكِتابُ). قال عنها ابن كثير: " وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا كذلك ولا يثبت ". ينظر: تفسير ابن كثير المسمَّى (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: ٢ / ٥٢٢. قال الدمياطي: " وأما قراءة (ومِن عِنْدِهِ) بالجر (عُلم) بالبناء للمفعول و (الكِتابُ) رفع به فليس من طرق هذا الكتاب ". ويبدو أنها قراءة بالغة الشذوذ أيضـًا. ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٣٤٠.

(٢) هذا ما رجَّحه السمرقندي، والسمعاني، والنسفي، والطاهر بن عاشور، وسيد قطب. ينظر: تفسير السمرقندي: ٢ / ٢١٥ تفسير السمعاني: ٣ / ٧٥، تفسير النسفي: ٢ / ٢٢٢، تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٢٢، التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٤ ،١٨٨، ٢١٢.

(٣) قد وردت مجموعة من الروايات عن الصحابة والتابعين التي حددت السور المكية والمدنية وفيما يلي نورد بعض هذه الروايات مع بيان درجتها من حيث الصحة والضعف:
أ) الرواية الأولى عن ابن عباس ﷺ وقد جاءت من خمس طرق: =

والذي يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها (كما ذكر السيوطي في الإتقان). والله أعلم.

⊠ التعريف بالسورة:

١. من المثاني[١].
٢. عدد آياتها: أربعون وثلاث آيات في الكوفي (٤٣ آية)، وأربع في المدني والمكي (٤٤ آية)، وخمس بصري (٤٥ آية)، وسبع شامي (٤٧ آية)[٢].

= ١- طريق أبي عبيد في كتابه « فضائل القرآن...»: ولم يذكر سورة الرعد من ضمن السور المدنية. وهذا إسناد صحيح، وأغلب مرويات علي بن أبي طلحة في التفسير عن ابن عباس، إلا أنه لم يلقه، لكنه حمل عن ثقات أصحابه مثل مجاهد وعكرمة.

٢- طريق ابن الضريس في كتابه « فضائل القرآن...»: عد سورة الرعد من السور المدنية. وإسناده ضعيف من ولكن رواية الزركشي والتي بسند آخر تعد شاهدًا لهذا الطريق.

٣- طريق النحاس في كتابه « الناسخ والمنسوخ...»: ولم يذكر سورة الرعد من ضمن السور المدنية. والحقيقة أن الإسناد فيه ضعف.

٤- طريق ابن عبد الكافي في كتابه: "بيان عدد سور القرآن وآياته..": فذكر السور المكية والمدنية معًا.

٥- طريق البيهقي في كتابه: « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة »: روى البيهقي الرواية بإسنادين وصحح أحدهما، وذكر السور المكية...، والسور المدنية، وعد سورة الرعد من السور المدنية.

ب) الرواية الثانية عن قتادة، وقد جاءت من ثلاث طرق كلها صحيحة إلى قتادة: وعد سورة الرعد في الطرق الثلاث من السور المدنية.

ج) الرواية الثالثة عن جابر بن زيد التابعي رواها عنه أبو عمرو الداني بإسناده: وعد سورة الرعد من السور المدنية.

ويضم إلى هذه الروايات بعض أقوال أهل العلم: والتي تبين أن سورة الرعد من السور المختلف فيها. ينظر: موقع: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١) المثاني: هي السور التي وليت المئين ؛ لأنها ثنتها أي كانت بعدها فهي لها ثوان، والمئون: هي السور التي وليت السبع الطوال (وهي: سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وبراءة)، سميت بالمئين لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. ينظر: الإتقان: ١ / ١٧٣.

(٢) الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود والكسائي وحمزة، والمدني: نافع، والمكي: هو عبد الله بن كثير،=

٣. اختلافها خمس آيات:

- قوله تعالى: ﴿ ... لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أَكْثَرَ .. ﴾. [آية: ٥]. لم يعدها الكوفي وعدَّها الباقون.
- قوله تعالى: ﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ كَبَٰسِطِ .. ﴾. [آية: ١٦]. عدَّها الشامي ولم يعدها الباقون.
- قوله تعالى: ﴿ ... أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ كَبَٰسِطِ .. ﴾. [آية: ١٦]. لم يعدها الكوفي وعدَّها الباقون.
- قوله تعالى: ﴿ ... أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ كَبَٰسِطِ .. ﴾. [آية: ١٨]. عدَّها الشامي ولم يعدها الباقون .
- قوله تعالى: ﴿ ... مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾. [آية: ٢٣]. لم يعدها المدنيان والمكي وعدَّها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدودا بإجماع موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ ...وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قَدْ .. ﴾. [آية: ٣٠]. وهي خمسة:

﴿ الٓمٓرۚ أَكْثَرَ .. ﴾. [آية: ١]. ﴿ مَغْفِرَةٍ ..وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ مَغْفِرَةٍ .. ﴾. [آية: ٨]. ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ كَبَٰسِطِ .. ﴾. [آية: ١٨]. ﴿ ... وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قَدْ .. ﴾. [آية: ٣٠]. وعكسه ﴿ ... يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾. [آية: ١٧].

٤. قيل: المنسوخ من السورة آيتان وهما:

- قوله تعالى: ﴿ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ مَغْفِرَةٍ .. ﴾. [آية: ٦].

=والبصري: هو أبو عمرو بن العلاء، والشامي: ابن عامر. ينظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان الداني: ٥.

قال الضحاك: منسوخة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ هَادُواْ .. ﴾ [سورة النساء: ٤٨، ١١٦]. وقال مجاهد: والذي عليه الأكثر أنها محكمة .

- قوله تعالى: ﴿... فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ دَآئِمٌ.. ﴾. [آية: ٤٠]. منسوخة بآية السيف(١).(٢)

وقد رد **ابن الجوزي**(٣) القول بالنسخ وبيَّن أن الآيتين محكمتان ولا نسخ فيهما.

قال عن الآية الأولى: هذا توهم فاسد ؛ لأن الظلم عام، وتخصيصه بالشرك هاهنا يحتاج إلى دليل، ثم إن كان المراد به الشرك فلا يخلو الكلام من أمرين:

١. إما أن يراد التجاوز عن تعجيل عقابهم في الدنيا.
٢. أو الغفران لهم إذا رجعوا عنه.

---

(١) آية السيف هي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ٥].

(٢) ينظر: البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو عثمان الداني: ١٦٩، الناسخ والمنسوخ لمرعي بن يوسف الكرمي: ١٢٦، إتحاف فضلاء البشر: ٣٣٨.

(٣) ابن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، الحنبلي، من ولد الإمام أبي بكر الصديق ﷺ، ابن الجوزي أبو الفرج: الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك، قال الذهبي: كان مبرزاً في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ، ومتوسطاً في المذهب، وفي الحديث له إطلاع تام على متونه، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين، ونسبته إلى " مشرعة الجوز " من محالها، له ثلاث مائة مصنف منها: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، وتلبيس إبليس، والحمقى والمغفلين، وزاد المسير في علم التفسير وصيد الخاطر، وصفة الصفوة، والمنتظم في التاريخ، والموضوعات، ت سنة ٥٩٧ هـ. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: ٣ / ١٤٠، البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: ١٣ / ٢٩، طبقات المفسرين: ١ / ٦١.

وليس في الآية ما يدل على أنه يغفر للمشركين إذا ماتوا على الشرك.

وأن معنى الآية الثانية: ﴿ ...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ دَآئِمٌ.. ﴾ أنه ليس عليك أن تأتيهم بما يقترحون من الآيات إنما عليك أن تبلغ، تكون محكمة، ولا يكون بينها وبين آية السيف منافاة(١).

٥. ترتيبها الثالثة عشرة.

٦. نزلت بعد سورة " محمد ﷺ ".

٧. تبدأ بحروف مقطعة ﴿ الٓمٓرۚ أَكۡثَرَ.. ﴾.

٨. السورة بها سجدة في [الآية: ١٥].

٩. الجزء: " ١٣ "، الحزب: " ٢٥، ٢٦ ".

☒ **محور موضوعات السورة:**

سورة الرعد من السور المكية التي تتناول المقاصد الأساسية للسور المكية من تقرير الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء ودفع الشُبَهِ التي يثيرها المشركون.

وتدور السورة حول محور مهم هو: أن الحق واضح بيّن راسخ وثابت، وأن الباطل ضعيف زائف خادع مهما ظهر وعلا على الحق ببهرجه وزيفه. وعلينا أن لا ننخدع ببريق الباطل الزائف لأنه زائل لا محالة، ويبقى الحق يسطع بنوره على الكون كله.

☒ **أهم موضوعات السورة ومقاصدها:**

إن الموضوع الرئيس لسورة الرعد هو العقيدة وقضاياها، وهذه القضايا لا تعرض عرضا جدليا باردا ؛ فهذا الكون كله بكل ما فيه من عجائب هي براهين هذه القضايا وآياتها. وقد احتوت هذه السورة المباركة على عرض عجائب هذا الكون، فهي تطوف بالقلب البشري في آفاق وأعماق، وتعرض عليه الكون كله بمجالاته الأخاذة.

---

(١) ينظر: نواسخ القرآن العبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: ١٨٣.

ومعاني سورة الرعد جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية وتقريع المشركين وتهديدهم، تدور حول أسس العقيدة الإسلامية ؛ وتسير الآيات في السورة على النحو التالي:

- قضية الإيمان بالوحي المنزل من رب العالمين إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: والإيمان بالحق الذي اشتمل عليه هذا الوحي الرباني، وإثبات صدق الرسول ﷺ فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين، فلذلك تكررت حكاية أقوالهم أربع مرات[1] موزعة على السورة بدءاً ونهاية. ومهد لذلك بالتنويه بالقرآن وأنه منزل من الله، وبيان دلائل قدرته بخلق العالَمَيْن ونظامهما المحكم.
- مظاهر الحق في الكون: جاءت الآيات تقرر كمال قدرة الله وعجيب خلقه في الكون كله، وكيف يدبر الأمر، ويفصل الآيات، ويمد الأرض ويغشي الليل النهار، فالله هو الحق، وقرآنه حق، واتّباعه حق، وبعد إظهار كل هذا الحق يشكك المشركون بالبعث بعد الموت، فليتفكروا في عظيم خلق الله في الكون.
- تعجب الآيات من منكري البعث والحساب والجزاء : تعجب من الذين كفروا بربهم ، وكذبوا رسله ، وجحدوا آياته ، ثم تفنيد أقوال الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث وتعرض لشيء من عذابهم في الآخرة ، وخلودهم في النار .

(١) وذلك في:
١. قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ... ﴾. آية: [٥].
٢. قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾. آية: [٧].
٣. قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ... ﴾. آية: [٢٧].
٤. قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. آية: [٤٣]

- تستشهد السورة في مواضع كثيرة منها بالعديد من الآيات والظواهر الكونية الدالة على علم الله الشامل والقدرة الإلهية المبدعة في الخلق والإفناء ، وفي الإماتة والإحياء ، وفي النفع والضر، والشاهدة على أن كل ما جاء به القرآن الكريم حق مطلق ، وإن كان أكثر الناس لا يؤمنون. وجمعت الآيات المتناقضات الموجودة في الكون، جمعت الآيات اثنين وثلاثين متقابلاً في الكون(١)، وعلينا أن نفكر أن الذي جمع كل هذه المتناقضات هو الحق ولا يتم ذلك إلا بإرادته سبحانه. وهذا الرعد جمع النقيضين فهو على كونه مخيفاً في ظاهره إلا أنه فيه الخير والمطر الذي ينبت الزرع ويسقي الناس والبهائم، والسحاب يحمل الماء والصواعق وفي الماء الإحياء وفي الصواعق الإفناء والهلاك.

وقد قال القائل:

جمعُ النقيضين من أسرار قدرته   هذا السحاب به ماءٌ به نار

- ثم تعرض السورة لحقيقة غيبية تتمثل في تسبيح الرعد بحمد الله ، وتسبيح الملائكة خشية لجلاله ، وخيفة من سلطانه ، وجميع من في السموات والأرض يسجد لله طوعا وكرها حتى ظلالهم فإنها تسجد لله بالغدو والآصال ، أي مع دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، فيمد الظل ويقبض في حركة كأنها الركوع والسجود .
- قوة الحق: وتستطرد آيات سورة الرعد في الحديث عن عدد من الظواهر الكونية من مثل حدوث الرعد والبرق والصواعق ، وتكوين السحاب الثقال ، وإنزال

(١) المتقابلات في الكون التي حوتها سورة الرعد: السموات والأرض، الليل والنهار، ما تغيض الأرحام وما تزداد، من أسر القول ومن جهر به، من هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار، معقبات من يديه ومن خلفه، خوفا وطمعا طوعا وكرها، الغدو والآصال، النفع والضر، الأعمى والبصير، الظلمات والنور، الحق والباطل، الزبد وما ينفع الناس، الموفون بعهد الله والذين ينقضون عهد الله، المحو والإثبات.

المطر ، وتدفق الأودية بمائه حاملة من الزبد والخبث الذي لا يلبث أن يذهب جفاء ، وبما ينفع الناس من نفائس المعادن التي لا تلبث أن تمكث في الأرض ، وتشبه الآيات الكريمة ذلك بكل من الباطل والحق ولله المثل الأعلى . الحق قوي له دعوة، والباطل زائف تماماً كالسيل يجرف معه على سطح الماء الأوساخ، وأما الذي يبقى وهو الطمي هو المفيد للزرع، وكذلك عندما يصفى الذهب تصعد الشوائب للأعلى ويبقى الذهب الخالص في الأسفل. وهذا إشارة أن الباطل يكون على السطح لأنه ظاهر لكن الحق راسخ وقد يكون غير ظاهر للوهلة الأولى.

- ثم تقارن الآيات بين أهل النار وأهل الجنة ، وبين أوصاف كل فريق منهم وخصاله وأعماله وضربت لهما مثلا بالأعمى والبصير ، وبينت مصير كل من الفريقين ، مع تصوير رائع لكل من الجنة والنار.
- الكون والقرآن: القرآن هو الوحيد في الكون الذي يمكنه أن يحرك الدنيا، ويحرك الأرض والكون من عظمته وقوة الحق فيه، ولمَّا وعى المسلمون الأوائل هذا الأمر وصلت الأمة الإسلامية إلى أوج حضارتها، وكان المجد التليد.
- وتنعى الآيات على الكفار استهزاءهم بالرسل السابقين على بعثة المصطفى ﷺ، وفيه تثبيتٌ لرسول الله ﷺ ، والتأكيد له على أن الابتلاء هو طريق النبوات ، وطريق أصحاب الرسالات من بدء الخلق إلى قيام الدعوة المحمدية وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، وتشير السورة بالقرب من نهايتها إلى فرح الصالحين من أهل الكتاب بمقدم الرسول الخاتم في الوقت الذي حاول فيه الكفار والمشركون التشكيك في حقيقة رسالته وتؤكد إنزال القرآن حكما عربيا ، وتدعو المصطفى ﷺ إلى الحذر من ضغوط الكافرين من أجل اتباع أهوائهم وتؤكد أنه ما كان لرسول من الرسل أن يأتي بآية إلا بإذن الله .

- وتشير الآيات إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات.
- ختام السورة تشهد للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة وأنه مرسل من عند الله . وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر.

هذه هي أهم موضوعات السورة ومقاصدها، ويظهر منها **الهدف العام للسورة** وهو: قوة الحق وضعف الباطل .

☒ **وجه مناسبتها لما قبلها (سورة يوسف عليه السلام):** هناك مناسبة عامة ومناسبة خاصة:

١- وجه المناسبة العامة:

وجه المناسبة العامة بين سورة يوسف عليه السلام وسورة الرعد بعدها أن موضوع سورة يوسف عليه السلام ومحورها هو: بيان قوة الحق وضعف الباطل وانهزامه، وكذلك هو محور سورة الرعد كما أسلفنا، ويظهر ذلك في قوله تعالى من سورة يوسف عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾. [سورة يوسف عليه السلام: ٩٩ - ١٠١].

ومن سورة الرعد قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾. [سورة الرعد: ١٧]. وغيرها من الآيات.

٢- وجه المناسبة الخاصة:

- أنه سبحانه قال في أواخر سورة يوسف عليه السلام قبلها: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام: ١٠٥]. فأجمل سبحانه الآيات السماوية والأرضية، ثم فصَّل جل جلاله ذلك في أوائل سورة الرعد بعدها أتمَّ تفصيل.

- وأيضـًا أنه تبارك وتعالى قد أتى في هذه السورة مما يدل على توحيده عز وجل مايصلح شرحـًا لما حكاه عن يوسف عليه السلام من قوله: ﴿ ... ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾. [سورة يوسف عليه السلام: ٣٩].
- وأيضـًا في كل من السورتين ما فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم .
- هذا مع اشتراك آخر سورة يوسف عليه السلام وأوَّل سورة الرعد فيما فيه وصف القرآن؛ الحق الهدى، والرحمة(١).

المبحث الأول

بعض الدلائل السماوية على عظيم قدرة الله

إن في الكون لآيات عظيمة تشهد بقدرة الله العظيم ؛ وما تملك النفس حين التفكر فيها وتأملها إلا أن تسبِّح الخالق إجلالاً وتعظيمـًا، وتسجد الجباه تذللاً وخضوعـًا، ومن هذه الدلائل السماوية التي وردت في سورة الرعد قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ ﴾ **[آية ٢].**

أوجه الإعراب :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ : ابتداء وخبر ؛ أي: ولابد لها من رافع فهذا من الآيات ﴿ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ يكون ﴿ تَرَوۡنَهَا ﴾:

- استئناف: للاستشهاد برؤيتهم للسموات بغير عمد.

(١) ينظر: روح المعاني: ١٣/ ٨٤.

- وقيل: صفة لعمد، لأن للسموات عمداً غير مرئية (١).

وقد اختلف في تفسير الآية المفسرون مما سأبيِّنه لاحقـًا، لكن الوجه الموافق للقول الراجح في تفسيرها هو الوجه الثاني ؛ فالله ﷻ رفع السموات بعمد غير مرئية.

﴿ يُدَبِّرُ ﴾ و ﴿ يُفَصِّلُ ﴾: هما:

- مستأنفان.
- ويجوز أن يكون ﴿ يُدَبِّرُ ﴾ حالاً من الضمير في ﴿ وَسَخَّرَ ﴾، و ﴿ يُفَصِّلُ ﴾ حالاً من الضمير في ﴿ يُدَبِّرُ ﴾(٢).

المعاني اللغوية:

العَمَد: اسم للجمع، والجمع أَعْمِدَة وعُمُدٌ، ومفردها: عمود، و العمود: الخشبة القائمة في وسط الخباء(٣).

والجري: السير السريع، وسير الشمس والقمر والنجوم في مسافات شاسعة، وهي أسرع التنقلات وذلك لسيرها في أفلاكها(٤).

" **والتدبير في الأمر**: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته "(٥). " وقيل: التدبير النظر في العواقب بمعرفة الخير. وقيل: التدبير إجراء الأمور على علم العواقب، وهي لله تعالى حقيقة وللعبد مجازاً "(٦).

---

(١) ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري: ٢ / ٧٥٠.

(٣) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (مادة: عمد): ٣ / ٣٠٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٧.

(٥) لسان العرب (مادة: دبر): ٤ / ٢٧٣. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (مادة: دبر): ١١ / ٢٦٥.

(٦) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني: ٧٦.

والأمر: الشأن، وجمعه أمور(١)، جنس يعم جميع الأمور والشؤون في العالم(٢).

والتفصيل: التبيين، وهو مشتق من الفَصل: وهو الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل(٣). " والتفصيل: جمع الشيء فصولاً متمايزة "(٤)، " فصار كناية عن البيان لما فيه من فصل المعاني "(٥).

أقوال المفسرين في الآية:

الدلائل السماوية:

أولاً: رفع االسماء بعمد غير مرئية:

قال **الزجاج**(٦): لما ذكر أنهم لا يؤمنون ذكر الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾(٧). وهو استئناف ابتدائي ؛ وما قبله بمنزلة الديباجة من الخطبة ، ومناسبة هذا الاستئناف لقوله سبحانه: ﴿ ... وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ﴾ لأن أصل كفرهم بالقرآن سببه الاستكبار والإعراض عن الحق.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الرَّاغب الأصفهاني (مادة: أمر): ٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٧.

(٣) لسان العرب (مادة: فصل): ١١ / ٥٢١.

(٤) التعريفات: ١٩٣.

(٥) التحرير والتنوير: ١١ / ١٤، ٢٠٠.

(٦) الزجاج: هو إبراهيم بن محمد بن السري (الزَّجَّاج) البغدادي، أبو إسحاق: الإمام نحوي زمانه، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد، جميل المذهب، لزم المبرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهمًا فنصحه وعلمه، واشتغل بالأدب فنسب إليه، ثمَّ أدب القاسم بن عبيد الله الوزير فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد. قال ابن خلكان: كان من أهل العلم والأدب والدين المتين وصنف كتابًا في معاني القرآن، وله كتاب المالي، وكتاب ما فسر من جمع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب النوادر، وكتاب الأنواء وغيرها. وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب، ت ٣١١ هـ، وقيل: ٣١٠ هـ. ينظر: تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ٦ / ٨٩ وفيات الأعيان: ١ / ٤٩، سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٣٦٠، شذرات الذهب: ١ / ٢٥٩.

(٧) ينظر: زاد المسير: ٤ / ٣٠٠، قتح القدير: ٣ / ٦٤.

والافتتاح بلفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ولم يكن بضمير يعود إلى: ﴿ رَّبِّكَ ﴾ لئلا يشتبه غيره من آلهتهم فيكون أبلغ في قطع شائبة الإشراك، وللتقرير: كأنه قيل: كيف لا يكون المنزل ممن هو هذه قدرته وأفعاله سبحانه هو الحق ؟ وتعريف ﴿ ٱللَّهُ أَكْثَرَ.. ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ لإفادة أنه لا شريك له فيها(١).

﴿ ٱلَّذِى رَفَعَ ﴾ هو الخبر، وجعله اسماً موصولاً لدلالة الصلة على أن من يرفع السموات هو الله المتوحد بالربوبية. ورفعها: خلقها مرتفعة ؛ فليس المراد أنه رفعها بعد أن كانت منخفضة(٢).

مسألة: اختلف أهل العلم والمفسرون في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ وهل النفي للرؤية أو العمد ؛ وذلك على قولين:

القول الأول: أن في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: رفع السموات ترونها بغير عمد وهذا ما يشير إليه ظاهر الآية، وأن **السموات لا عمد لها**، وإلى هذا ذهب **جمهور**(٣) المفسرين(٤).

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي: ٩ / ٣٢٥، التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٦، ١٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٦، ١٣٧. بتصرف.

(٣) نسبه إلى الجمهور: عبد الحق بن غالب بن عطية في تفسيره المسمَّى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (ت ٥٤٦ هـ): ٣ / ٢٩١، وعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي المالكي في تفسيره المسمَّى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (ت ٨٧٥ هـ): ٣ / ٣٥٨.

(٤) في تفاسيرهم، منهم: مقاتل (٢ / ١٦٧)، أبو جعفر، أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) في معاني القرآن (٣ / ٤٦٧)، والطبري (١٣ / ٩٤)، والثعلبي (٥ / ٢٦٨)، والسمعاني (٣ / ٧٥)، والبغوي (٣ / ٥)، والزمخشري (٢ / ٤٨٢)، وابن عطية (٣ / ٢٩١)، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في زاد المسير (٤ / ٣٠٠)، والقرطبي (٩ / ٢٧٩)، وعبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في تفسيره المسمَّى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٣ / ٣١٦)، والخازن (٣ / ٣)، وابن كثير (٢ / ٥٠٠)، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في البحر المحيط (٥ / ٣٥٤)، والخطيب الشربيني (٢ / ١٦٢)، والجلالين (٣٢١)، وأبو السعود (٥ / ٣)، والطاهر ابن عاشور (١٢ / ١٣٧) والشنقيطي (٢ / ٢٢٢) والسعدي (٤١٢)، ومحمَّد سيِّد طنطاوي (٧ / ٤٣٩).

قال **ابن عطية** : " وقال جمهور الناس: لا عمد للسموات البتَّة ". اهـ(١).

وتكون جملة ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ **في موضع (نصب على الحال)** ويكون الضمير المتصل (ها) عائد للسموات، أي أن الله رفع السموات بغير عمد كما ترون ذلك بأعينكم، ويكون هذ تأكيداً للنفي، أي أن حالها يوم رفعها ﷻ خالية من أي عمد.

الأدلة على ذلك:

١. **السِّياق القرآني:** السماء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد، وهذا هو اللائق بالسِّياق.

٢. **النظائر القرآنية:**

هذا المعنى هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿ ... وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ بِأَمْرِهِۦ .. ﴾ . [سورة الحج: ٦٥]. فعلى هذا يكون قوله: ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ تأكيداً لنفي ذلك، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها، وهذا الأكمل في القدرة(٢).

واعتُرض: بأنه إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره فلا داعي إلى التقديم والتأخير(٣)، ولا حاجة إلى مثل هذا التكلف(٤).

القول الثاني: أن **السموات مرفوعة بعمد غير مرئية،** فهي **بغير شيء تقف إلاَّ قدرة الله،** وإليه ذهب **ابن عباس** ﷺ(٥)، ومجاهد(٦)، والحسن، وقتادة(٧)، **وجوَّزه** الزَّجَّاج

(١) المحرر الوجيز: ٣/ ٢٩١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠٠.

(٣) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٨/ ١٨٦.

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني: ٣/ ٦٤.

(٥) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن جرير في تفسيره (١٣/ ٩٤)، ونسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسيره (٢/ ٣٤٤) وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٠، ٦٠١) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٦) ينظر: تفسير مجاهد لأبي الحجاج، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي (ت ١٠٤ هـ): ١/ ٣٢٣. وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٩٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢١٦). وينظر: الدر المنثور: ٤/ ٦٠١.

(٧) أخرجه ابن جرير عن الحسن وقتادة في تفسيره (١٣/ ٩٤)، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢١٦).=

والنحاس(١)، **و رجَّحه** جماعة من المفسرين(٢).

وتكون جملة ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ **<u>في موضع جر صفة لعمد</u>،** فالضمير على هذا الوجه من الإعراب يعود إلى العمد، أي ليس لها عمد مرئية، أي لها عمداً لكن لا تُرى.

قال **الفخر الرازي**:

" إنه رفع السماء بغير عمد ترونها، أي: لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي، وأنهم لا يرون ذلك التدبير، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك ". اهـ(٣).

✍ وهنا بيَّن الفخر الرزي أن هذه العمد غير المرئية هي: قدرة الله تعالى التي تمسك السموات والأرض.

قال **النحاس**: " والقولان يرجعان إلى معنى واحد ؛ لأن من قال: إنها بعمد ؛ إنما يريد

=وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٦٠٠) إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الحسن وقتادة. ونسبه إليهما غير واحد من المفسرين.

و**الحسن** هو: الحسن بن أبي الحسن، واسم أبي الحسن يسار، البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة، وهو أحد العلماء الفقهاء العظماء الشجعان النساك، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وشب في كنف علي بن أبي طالب ﷺ، ت بالبصرة سنة ١١٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى: ٧ / ١٥٦، حلية الأولياء: ٢ / ١٣١، صفة الصفوة: ٣ / ٢٣٣.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣ / ١٣٦، معاني القرآن للنحاس: ٣ / ٤٦٧.

و**النحاس** هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النَّحَّاس: مفسر، أديب. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. وصنف: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، وتفسير أبيات سيبويه، وناسخ القرآن ومنسوخه، ومعاني القرآن: الجزء الأول منه وغيرها. ت سنة ٣٣٨ هـ. ينظر: العبر: ٢ / ٢٥٢، البداية والنهاية: ١١ / ٢٢٢، النجوم الزاهرة: ٣ / ٣٠٠.

(٢) في تفاسيرهم ؛ منهم: الطبري (١٣ / ٩٤)، والصنعاني (٢ / ٣٣١)، والفخر الرازي (١٨ / ١٨٦)، وابن جزي (٢ / ١٢٩) والشوكاني (٣ / ٦٤)، والآلوسي (١٣ / ٨٧)، والقاسمي (٩ / ٣٢٣).

(٣) التفسير الكبير: ١٨ / ١٨٦.

بالعمد قدرة الله جل وعز التي يمسك بها السموات والأرض ". اهـ(١).

الترجيح:

الذي أراه – والله أعلم – أن **القول الثاني هو الأرجح، فالسموات مرفوعة على عمد غير مرئية** والنفي للرؤية وليس للعمد – لما تقدم – ولما يلي:

أولاً: من اللغة: العرب قد تقدم الحُجَّة من آخر الكلمة إلى أوّلها، ويكون يكون ذلك جائزاً. كما في الآية التي معنا: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ .

قال الشاعر(٢):

إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرى   فدَعـهْ وواكِل حالَـه والليـاليـا

يجئـن على ما كان من صالـحٍ بـه   وإن كان فيما لا يرى الناس آليا

معناه: وإن كان (فيما يرى) الناس لا يألو(٣).

ثانيـًا: إعراب جملة ﴿ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ أنها صفة لـ﴿ عَمَدٖ ﴾ هو الأصحُّ عند النحاة ؛ إذ أن إسناد الضمير يكون دائمـًا لأقرب مذكور (وهو العمد) ويكون أولى من أن تكون حالاً للسموات وهي أبعد في السياق، يؤيد ذلك القاعدة الترجيحية التي تنص على أن: **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه**(٤).

ثالثـًا: هذا القول هو قول **ابن عباس** رضي الله عنه ؛ حبر هذه الأمة وهو قول جماعة من السَّلف.

من المقرر عند العلماء أن: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من

(١) معاني القرآن للنحاس: ٥ / ٢٨١. وينظر قبله: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣ / ١٣٦. وينظر: تفسير السمر قندي المسمَّى (بحر العلوم) لعلي بن يحيى، علاء الدين السمرقندي (ت ٣٦٧ هـ): ٢ / ٢١٥.

(٢) ذكر البيتين أبو زكريا، يحيى بن زياد الفَرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) في معاني القرآن (٢ / ٤٩) من غير عزو، وعزاه عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٨ / ٤٩٣) إلى زهير بن أبي سلمى ؛ ولم أقف عليه في ديوان زهير.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء: ٢ / ٤٩.

(٤) ينظر: قواعد الترجيح للحربي: ٢ / ٦١٣، ٦٢١.

بعدهم[1].

رابعًا: العلم الحديث:

عرف علماء الفلك كيفية رفع السموات على عمد غير مرئية عن طريـــــق تلك السُّنة الكونية العجيبة المذهلة ؛ وهي سنة الجاذبية العامة[2] التي قامت وتقوم بها السموات والأرض بأمر الله كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾. [سورة الروم: ٢٥].

وهذه الحقائق العلمية عن رفع السموات بغير عمد مرئية والتي توصل إليها علماء الفلك في عصرنا الحاضر، وأثبتوها من خلال دراساتهم الجادة وأبحاثهم الطويلة ؛ نجد أن القرآن الكريم الذي نزل على نبي أمي ﷺ وعلى أمة أمية في واد غير ذي زرع بين الجبال، قد سبق العلماء في إثبات هذه الحقيقة العلمية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴾ لتكون سراجًا مضيئًا، وليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق، وأنه تنزيل العزيز الحميد. وهذا ما قررته سورة الرعد في ابتدائها: ﴿ .... وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ .[3]

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح للحربي: ١ / ٢٧١.

(٢) العمد غير المرئية في العلوم الكونية:

١. القوة النووية الشديدة.
٢. القوة النووية الضعيفة.
٣. القوة الكهرومغناطيسية.
٤. قوة الجاذبية.

ينظر: مقال للدكتور زغلول النجار عن قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴾. [سورة الرعد: ٢]. نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ / ٩ / ٢٠٠١ م. موقع: www.eagaz.com. وينظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء: ٢٦ / ١٩٣.

(٣) ينظر: ترجيحات ابن جزي في التفسير من خلال كتابه: (التسهيل لعلوم التنزيل) من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة القصص عرضا ومناقشة للدكتورة/ هناء عبد الله سليمان أبوداود/ رسالة دكتوراه ص: ١١٢ - ١١٦.

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ : سئل الإمام مالك عن الاستواء فقال: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة "(١).

وقال ابن كثير(٢) : " يمر كما جاء من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل تعالى الله علوا كبيرا ". اهـ(٣) . وهذا هو مذهب السلف في الصفات.

وإن كان كثير من المفسرين قد قالوا بالتأويل فقالوا: استوى بمعنى استولى(٤)، مما يخالف مذهب السلف في الصفات.

ثانيـًا: تسخير الشمس والقمر:

﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ : أي: ذلل ﷻ الشمس والقمر لما يراد منهما من منافع الخلق ومصالح العباد، وكل من الشمس والقمر يجرى لأجل مسمى، أي إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس، ويخسف القمر وتنكدر النجوم، وتنتثر الكواكب(٥). وقيل: المراد بالأجل المسمى: درجاتهما ومنازلهما التي

---

(١) تفسير القرطبي: ٧/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه مفسر ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل في طلب العلم، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل والاجتهاد في طلب الجهاد، واختصار علوم الحديث وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ. ينظر: ذيل طبقات الحفاظ لمحمد بن علي الحسيني: ١ / ٥٧، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر: ١ / ٤٥٤، شذرات الذهب: ٣ / ٢٣١ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني: ١ / ١٥٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٠٠. وقال بهذا القاسمي. ينظر: تفسير القاسمي: ٩ / ٣٢٣.

(٤) ذكر كل من الطبري والقرطبي أقوالا في معنى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ وأوّلوا الاستواء بالعلو والارتفاع، أو العلو والاستقرار وهو مذهب الخلف في الصفات. ينظر: تفسير الطبري: ١ / ١٩٢، تفسير القرطبي: ٧/ ٢٢٠.

(٥) اختار هذا القول: الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني والقاسمي. ينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٩٥، زاد المسير: ٤/ ٣٠١، تفسير القرطبي: ٩/ ٢٧٩، فتح القدير: ٣/ ٦٤، تفسير القاسمي: ٩/ ٣٢٤.

ينتهيان إليها لا يجاوزانها، وهي سنة للشمس، وشهر للقمر[1].

والاقتصار على الشمس والقمر، لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة وأعظم من غيرهما ويدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأحرى[2].

تسخير الشمس والقمر من منظور علمي:

تظهر منَّة الله على خلقه في تسخير جميع ما في السموات وما في الأرض لهم، قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾. [سورة الجاثية : ١٣].

ومن هذه المخلوقات المسخرة لنا الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾. [سورة الرعد: ٢].

ولنرى جوانب تسخير الشمس والقمر من منظور علمي[3]:

أولاً: تسخير الشمس: ظهرت حقائق قاطعة بتسخير الشمس للإنسان منها :

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ٧/ ٢١٩، ٢٢٠، فتح القدير: ٣/ ٦٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠٠، تفسير القاسمي: ٩/ ٣٢٤.

(٣) ينظر: مقال للدكتور زغلول النجار [من أسرار القرآن - الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية (٦٧).. ﴿ صدق الله .وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَكْثَرَ.. ﴾]. نشر في الموقع الطبي الإسلامي على الحاسب الآلي بتاريخ: ٢/ ٧/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٢ السنة ١٢٦ –العدد ٤٢٣٠١. موقع:

http://www.islamicmedicine.org/zaghlool/٦٧htm.، مقال: **كيف ستكون الحياة بلا قمر؟** ﴿... **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...** ﴾ – **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم** بقلم: حسين أحمد كاتب، موقع: http://fussilat.org، بتاريخ ٢٧/ ٤/ ٢٠١٢.

وللمزيد ينظر: مقال: [الشمس والقمر بحسبان] لقسطاس إبراهيم النعيمي بتاريخ ٢٢/ ١/ ٢٠١٣ م. موقع: http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=١٧٠٣،

(١) الاتزان الدقيق بين تجاذب مكونات الشمس وتمددها :

الشمس هي أقرب نجوم السماء إلى الأرض التي تبعد عنها بمسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر في المتوسط ؛ والشمس نجم عادي، متوسط الحجم على هيئة كرة من الغاز الملتهب يبلغ قطرها١،٤٠٠،٠٠٠ كيلو متر، وحجمها١٤٢ألف مليون مليون كيلو متر مكعب، ومتوسط كثافتها١،٤٤ جرام للسنتيمتر المكعب، ولذلك تقدر كتلتها بنحو ألفي تريليون تريليون طن. ويمثل ذلك حوالي٩٩٪ من كتلة المجموعة الشمسية كلها.

والشمس عبارة عن فرن نووي كوني عملاق عمره أكثر من عشرة بلايين من السنين، يرتفع الضغط في داخله إلى ما يساوي أربعمائة مليار ضغط جوي؛ وبذلك تبدأ عملية الاندماج النووي بين نوى ذرات الإيدروجين منتجة نوى ذرات الهيليوم وتنطلق الطاقة التي ترفع درجة حرارة لب الشمس إلى أكثر من ١٥ مليون درجة مطلقة تتناقص بالتدريج إلى حوالي ستة آلاف درجة مطلقة عند سطحها، وإن تجاوزت المليون درجة في ألسنة اللهب المندفعة من داخلها.

ونظراً للجاذبية الرهيبة التي تحدثها كتلة الشمس الهائلة على مكوناتها فإنها تتجاذب كلها في اتجاه المركز تجاذباً تنتج عنه ضغوط هائلة ترفع درجة حرارة لب الشمس إلى المستوى الذي يسمح ببدء واستمرار عملية الاندماج النووي فيه.

ونظرا للتوازن الدقيق بين جاذبية الشمس لمكوناتها في اتجاه مركزها، ودفع تلك المكونات بعيداً عن المركز بواسطة القوى الناتجة عن تمدد الغازات المكونة لها بفعل الحرارة الفائقة في مركزها فقد بقيت الشمس مستمرة في الوجود تحت هذا التوازن العجيب على مدى عشرة بلايين من السنين (على أقل تقدير) وإلى أن يرث الله -تعالى- الكون ومن فيه ؛ ولولا هذا التوازن الدقيق لانفجرت الشمس كقنبلة نووية عملاقة، أو لانهارت على ذاتها تحت ضغط جاذبيتها خاصة أنها مجرد كرة ضخمة من الغازات.

وعلى ذلك فإن تقدير حجم وكتلة الشمس بهذه الدقة البالغة هو الذي مكنها من تحقيق هذا التوازن الدقيق بين قوى الدفع إلى الخارج، وقوى التجاذب إلى الداخل، ومن البقاء في حالة غازية أو شبه غازية، ملتهبة، متوهجة بذاتها، ولو تغير حجم وكتلة الشمس ولو قليلاً لتغير سلوك مادتها تماما، أو انفجرت أو انهارت على ذاتها، وذلك لأن السبب في اندلاع عملية الاندماج النووي في قلب النجم وانطلاق الطاقة منه هو تكونه من كتلة وحجم معينين يحافظان على الاتزان الدقيق بين التمدد والتجاذب، **وهل هناك من التسخير صورة أبلغ من ذلك؟ .**

(٢) تسخير طاقة الشمس من أجل ضبط حركة الحياة علي الأرض :

تطلق الشمس من مختلف صور الطاقة مايقدر بحوالي خمسمائة ألف مليون مليون مليون حصان في كل ثانية من ثواني عمرها ، ويصل إلي الأرض من هذا الكم الهائل من الطاقة حوالي الواحد في الألف ، ومجموع ميزانيات دول العالم لاتكفي ثمنا لهذا الكم من الطاقة الشمسية التي تصل إلينا فتمثل كل مصادر الطاقة المباشرة وغير المباشرة على الأرض (باستثناء الطاقة النووية) ، وبدون هذه الطاقة الشمسية تستحيل الحياة علي كوكبنا ، لأن كلا من النبات والحيوان والإنسان يعتمد في وجوده - بعد إرادة الله الخالق ﷻ - على قدر الطاقة الذي يصله من أشعة الشمس ، كذلك فإن كل الظواهر الفطرية التي تحدث علي الأرض ومن حولها تعتمد على الطاقة القادمة إلينا من الشمس: فتصريف الرياح ، وإرسال السحاب ، وإنزال المطر وبقية دورة الماء حول الأرض ، وما يصاحب ذلك من تسوية وتمهيد لسطح الأرض ، وشق للفجاج والسبل فيها ، وتفجير للأنهار والجداول من حجارتها ، وخزن للماء تحت سطح الأرض ، وتكوين للتربة والصخور الرسوبية ، وتركيز للعديد من الركائز المعدنية ، وحركات الأمواج في البحار والمحيطات وعمليات المد والجزر.. وغير ذلك من عمليات وظواهر تحركها طاقة الشمس بإرادة الله تعالى.

كذلك فإن الله ﷻ قد أعطى الشجر الأخضر القدرة على خزن جزء من طاقة الشمس علي هيئة عدد من الروابط الكيميائية التي تمثل المصدر الرئيسي لكل انواع الطاقة الحرارية والضوئية والكهربائية والكيميائية من مثل الحطب والقش والخشب ، وكلا من الفحم النباتي والحجري ، والنفط والغاز الطبيعي ، والزيوت والدهون النباتية والحيوانية وكلها ترجع إلي الطاقة الشمسية.

(٣) تكوين نُطُق الحماية المختلفة للأرض بفعل طاقة الشمس:

شاءت إرادة الله ﷻ أن يحمي الحياة على سطح الأرض بعدد من نُطُق الحماية التي لعبت أشعة الشمس– ولا تزال تلعب – الدور الأول في تكوينها – بعد إرادة الله ﷻ – وأولها من الخارج إلى الداخل :

- النطاق المغناطيسي للأرض(TheMagnetosphere)
- وأحزمة الإشعاع (TheRadiationBelts)
- والنطاق المتأين (TheIonosphere)
- ونطاق الأوزون (TheOzonosphere)

وهذه النُّطُق تتعاون في حماية الأرض من كل من الأشعة فوق البنفسجية والكونية ومن العديد من الجسيمات الكونية الدقيقة والكبيرة والتي منها النيازك والشهب ؛ ولو لم تكن هذه النُّطُق موجودة لاستحالت الحياة على الأرض ، ولو لم تكن الشمس موجودة ما تكونت تلك النُّطُق على الإطلاق، ووجودها صورة من صور التسخير التي لم تكن معروفة في زمن الوحي بالقرآن الكريم ولا بعد قرون متطاولة بعد نزوله حتي نهايات القرن العشرين .

(٤) تحديد الزمن:

يتحدد كل من الليل والنهار ويوم الأرض وشهورها وفصولها وسنينها بدورة الأرض حول محورها، وبسبحها في مدارها حول الشمس ؛ وبذلك يستطيع الأنسان إدراك

الزمن وتحديد الأوقات والتاريخ للأحداث ، فبدورة الأرض حول محورها أمام الشمس يتبادل الليل والنهار، ويتحدد يوم الأرض.

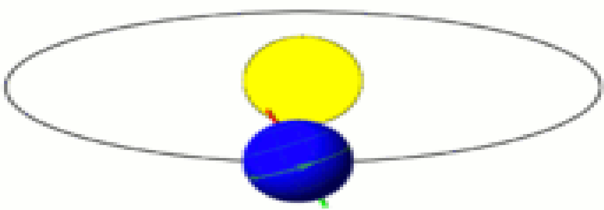
وبسبح الأرض في مدارها حول الشمس بمحور مائل على الأفق تتحدد الفصول المناخية من الربيع والصيف والخريف والشتاء، كما تتحدد سنة الأرض التي يتقاسمها اثنا عشر شهراً شمسياً تحددها بروج السماء الاثنا عشر المتتابعة .

ثانيـًا: تسخير القمر:

ذُكر القمر في القرآن الكريم ٢٧ مرة ؛ منها ٧ مرات حول موضوع تسخير الشمس والقمر[١] .

قال الطبري: (وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ يقول: وأجرى الشمس والقمر فى السماء، فسخرهما فيها (السماء) لمصالح خلقه، وذللهما لمنافعهم). اهـ.[٢] أي أن الشمس والقمر ذُللت لمنافع ومصالح خلق الله، ولكن كيف؟

فوائد الشمس واضحة وجليّة، فالحياة غير ممكنة بدونها كما ذكرنا آنفـًا ؛ إذ ستصبح الأرض كتلة متجمدة لا حياة فيها خاصةً وأنه لن يوجد نهار ؛ فسيكسوها الظلام الدامس والدائم ! فالشمس هى التى تمدُّ بالطاقة والضوء لتنعم الكرة الأرضية بالدفء والمناخ الملائم للحياة بالإضافة الى نورها الذي اذا اقتُرن مع دوران الأرض حول نفسها يعطينا آية الليل والنهار.



(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (مادة: ق م ر): ٥٥٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٣ / ٩٥.

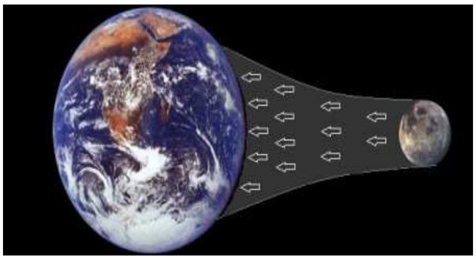
ولكن كيف سيكون الحال اذا كانت هناك شمس ولكن بلا قمر؟

هذ القمر الذي نراه في كبد السماء هو الآخر مسخَّرٌ للإنسان أيضـًا، ولنرى وجهة نظر علماء الفلك لتسخير القمر:

القمر تابع صغير للأرض يبعد عنها بمسافة تقدر بحوالي ٣٨٤٤٠٠ كيلو متر في المتوسط ، وهو علي هيئة شبه كرة من الصخر ، يقدر قطرها بحوالي ٣٤٧٤ كيلو مترا ، ومساحة سطحها بحوالي ٣٨ مليون كيلو متر مربع ، وحجمها بحوالي ٢٢ مليون مليون كيلو متر مكعب ، ومتوسط كثافتها بحوالي ٣٣٤ جرام للسنتيمتر المكعب ، وكتلتها بحوالي ٧٣٥ مليون مليون طن ، وحرارته القصوى ١١٧ مئوية، وحرارته الدنيا ١٦٢.٧ تحت الصفر، وأعلى جبل فيه هو قمة ديورفيف في القطب الجنوبي للقمر، ويبلغ ارتفاعه ١٠.٥ كم بالنسبة إلى سطحه.. **ويتمثل تسخير القمر في النقاط التالية:**

(١) ولادة القمر هو أحد مسببات ميلان محور دوران الأرض وظاهرتى المدِّ والجزر:

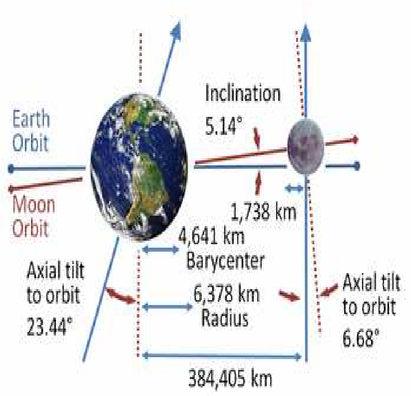
لو كان محور دوران الأرض حول نفسها عاموديـًا (٩٠ درجة)، لما وجدت الفصول ولكان طول النهار ١٢ ساعة مثل طول الليل ولتجمعت الثلوج في أقطاب الكرة الأرضية وأدت الى انخفاض مستوى البحار والمحيطات، أمّا مناطق خط الاستواء، فقد تصبح صحراء ملتهبة. تدور الأرض حول محورها بانحراف مقدارة ٢٣.٥ درجة عن محور دورانها حول الشمس وهذا ما يؤدي الى ظاهرة الفصول الأربعة وتنوع الحياة كما نعرفها كما، ويعتقد العلماء بأن ولادة القمر هو أحد مسببات ميلان محور دوران الأرض.



يُعتبر القمر من الحالات الخاصة في المجموعة الشمسية حيث يبلغ قطر القمر رُبع قطر الأرض، ولو قارنّا باقي كواكب المجموعة الشمسية مع أقمارها لما وجدنا أي منها

يصل الى هذه النسبة، ولهذا السبب تعتبر قوة الجاذبية بين الأرض والقمر قوية لدرجة أن وجه القمر ثابت باتجاه الأرض ولا نراه يدور حول نفسه.

وقوة الجذب هذه هى المسؤولة عن ظاهرة المد والجزر في البحار ؛ وهما قوتان من قوى الأرض يعملان على تفتيت صخور الشواطئ ، وتكوين أنواع عديدة من الرسوبيات والصخور الرسوبية على طول تلك الشواطىء ، كما تعملان على تركيز العديد من الثروات المعدنية في رمالها.



يقوم القمر بعمل دور المثبِّت لدوران الأرض ويمنعها من الإنحراف والتمايل حيث أن وجود قمر بهذا الحجم والكتلة يمنع محور الأرض من التأرجح مثل "البلبل" الذي يلعب به اطفالنا والذي قد يتأرجح ليصل الى ٩٠ درجة، مما يعنى أن احد اقطاب الأرض سيصبح استوائياً بينما يصبح خط الاستواء ثلجياً.

(٢) خفض سرعة دوران الأرض واعتدال سرعة الرياح:

من مؤثرات القمر على الأرض هو: أن العلماء قدروا أن القمر خلال مليارات السنين من دورانه حول الأرض خَفّض من سرعة دوران الأرض حول نفسها الى النصف مما أدى الى اعتدال سرعة الرياح التى كان من الممكن أن يصل معدّلها الى ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ كيلومتر في الساعة مما يجعل العوامل البيئية صعبة على الكائنات الحية.

(٣) تحديد الشهر القمري بدورة القمر حول الأرض :

يدور القمر حول الأرض في مدار شبه دائري يقدر طوله بحوالي ٢٫٤ مليون كيلو متر

بسرعة متوسطة تقدر بحوالي كيلو متر واحد في الثانية ليتم دورته الاقترانية حول الأرض في حوالي ٢٩٫٥ يوم من أيام الأرض ، هي الشهر القمري الاقتراني للأرض .

(٤) تسخير أطوار شكل القمر لتقسيم الشهر إلي أسابيع وأيام:

إن كلا من منازل القمر ، وأطواره المتتالية والتي يحددها مساحة وشكل الجزء المرئي من سطح القمر المنير وهو يتزايد سعة من الهلال الوليد حتي يصل إلي البدر الكامل ، ثم يبدأ في التناقص حتي يصل إلي الهلال الأخير ومن بعده يدخل في طور المحاق لمدة يوم أو يومين إلي ميلاد الهلال الجديد يمكن تقسيم الشهر القمري إلي أسابيع متتالية وتقسيم كل اسبوع إلي أيام متتابعة بدقة فائقة .

(٥) إضاءة سماء الأرض بمجرد غياب الشمس :

سطح القمر معتم تماما ، وعلى الرغم من ذلك فإن الله ﷻ قد أعطاه القدرة علي عكس ماقيمته٧٫٣٪ من أشعة الشمس الساقطة عليه ، وبذلك ينير سماء الأرض بمجرد غياب الشمس ، وذلك بمراحله المتتالية من الهلال الوليد ، إلي ميلاد الهلال الجديد في أول الشهر التالي .وعلى ذلك فإن القمر في دورته الشهرية حول الأرض قد سخره ربنا ﷻ مصدرا للنور في ليل الأرض .

هذا قليل من كثير من صور التسخير التي أعدتها الإرادة الإلهية بحكمة بالغة لكي يكون كل من الشمس والقمر لبنات صالحة في بناء الكون وفي انتظام حركة الحياة علي الأرض وآيات تذكرنا بقدرة الخالق وعظمته .

وصرح بتسخير الشمس والقمر.. وأي تسخير أفضل من حركة هذين الكوكبين اللذين يحققان المنافع المختلفة للبشر ، واللذان يعتبر ا المصدر لمختلف أنواع الخيرات والبركات في حياة البشر يتأثر بهما الرياح والمناخ والبحار والأيام والليالي وغير ذلك مما عرضنا.

واختيار لفظ (سخَّر) وهي لفظة موحية بالقوة والعظمة من خلال ظلالها وبِنْيتها ؛ إذ

جاءت بلفظ الماضي المضعَّف، فهي شاملة في مدلولها، قوية في بنيتها، ذلك بجانب الحديث عن آيتين كبيرتين عظيمتين، هما الشمس والقمر، فاختير التعبير بها على غيرها مما يؤدي معنى "التسخير"؛ كـ (أمر)، أو (جعل) أو (ذلَّل) ؛ لأن الآية تُجمل ذكر منافع جليلة لعموم المخلوقات، نِعَم كثيرة من تسخير الله للشمس والقمر - بعضه قد أُسلف ذكره - ؛ ففي الشمس وطاقتها الحرارية منافعُ للإنسان والحيوان والنبات، وفي القمر زينةٌ للسماء، وتبصير الناس بضبط المواقيت والحساب، وفيهما معًا دلالة لمن أراد التفكر في ملكوت الكون، تدعو إلى الإيمان بخالقِهِ ومبدعِه، وفي الإيمان طمأنينة لنفس المؤمن في الحياة الدنيا، وثواب من الله في الحياة الأخرى، ومن ذا الذي لا يطمع في الحصول على تلك المنافع ؟

سخر الله ما في السموات وما في الأرض لكي يستطيع الإنسان أن يحيا حياة كريمة هنية، فلتفق أيها الإنسان من غفلتك لتذكر الواهب والمنعم الحقيقي.

ثالثًا: تدبير الأمر:

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: قال الطبري[1] :" ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه ". اهـ[2].

(١) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الشافعي، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له: أخبار الرسل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير الطبري، واختلاف الفقهاء، والمسترشد، وجزء من الاعتقاد، والقراءات وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير، وكان مجتهدا في أحكام الدين ولا يقلد أحدا. ت سنة ٣١٠ هـ ينظر: طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي: ١ / ١٠٢، سير أعلام النبلاء: ١٤، ٢٦٧، البداية والنهاية: ١١ / ١٤٥، طبقات الحفاظ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ١ / ٣١٠.

(٢) تفسير الطبري: ١٣ / ٩٥.

يصرف أمر العالم العلوي والسفلي ويقضيه بمشيئته وبحكمته على أكمل الأحوال، فلا يشغله أمر عن أمر، ولا شأن عن شأن سبحانه(١).

قال ابن عاشور: " ولفظ التدبير هو أوفى الألفاظ اللغوية بتقريب إتقان الخلق ". اهـ(٢).

﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾: أي: يبيِّن ويوضح الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وربوبيته ومنها ما تقدم ذكره من الآيات من رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر، وجريهما لأجل مسمى احتجاجاً بها عليكم، وأن من يقدر على الخلق يقدر على الإعادة والبعث بعد الموت للجزاء والحساب ولهذا قال: ﴿ ...لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾.

ويضيف الطاهر بن عاشور أيضاً قائلاً: " ووجه الجمع بينهما هنا أن **تدبير الأمر** يشمل تقدير الخلق الأول والثاني؛ فهو إشارة إلى التصرف بالتكوين للعقول والعوالم، **وتفصيل الآيات** مشير إلى التصرف بإقامة الأدلة والبراهين وشأن مجموع الأمرين أن يفيد اهتداء الناس إلى **اليقين** بأن بعد هذه الحياة حياة أخرى، لأن النظر بالعقل في المصنوعات وتدبيرها يهدي إلى ذلك، وتفصيل الآيات والأدلة ينبه العقول ويعينها على ذلك الاهتداء ويقوِّيه ". اهـ(٣).

* * لماذا كانت صيغ ﴿ يُدَبِّرُ ﴾ بالمضارع، وصيغة ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بالماضي ؟

لأن التدبير والتفصيل مستمر ومتجدد حسب إرادة الله وحكمته، أما رفع السموات وتسخير الشمس والقمر فقد تم واستقر أمره دفعة واحدة(٤).

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣ / ٩٥، تفسير القاسمي: ٩ / ٣٢٤.
(٢) التحرير والتنوير: ١١ / ١٤.
(٣) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٧.
(٤) المرجع السابق: ١٢ / ١٣٧. بتصرف يسير.

ومن تدبر حق التدبر أيقن أن لهذا الكون خالقـاً عظيمـاً ؛ قَدَر على إبداع ما ذكر من الآيات العلوية ؛ فهو أيضـاً قادر على الإعادة(١) .

المبحث الثاني

بعض الدلائل الأرضية على عظيم قدرة الله

أمرنا الله جل في علاه بالسير في الأرض والنظر في الكون، النظر الى الجبال الشاهقة، إلى الأرض المنبسطة، الى الوادي، إلى النخل الباسقات والحب والحصيد، والزوج البهيج. ومن هذه الدلائل الأرضية الواردة في سورة الرعد قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ . [آية: ٣، ٤].

أولاً: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[آية: ٣].

أوجه القراءات والإعراب في الآية:

أوجه القراءات:

- " قرأ الجمهور: - بسكون الغين وتخفيف الشين - ﴿ يُغْشِى ﴾ مضارع أغشى.
- وقرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب، وخلف: - بفتح العين وتشديد الشين - مضارع غشَّى (يغَشِّي). وعن الحسن (ندبر) بالنون "(٢).

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣ / ٩٥، زاد المسير: ٤ / ٣٠١، تفسير القرطبي: ٩ / ٢٧٩، تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٠٠، فتح القدير: ٣/ ٦٤، تفسير القاسمي: ٩ / ٣٢٤.

(٢) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٣٣٨.

أوجه الإعراب :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ : ابتداء وخبر، فدل على قدرته ﷻ في الأرض بعد أن دل عليها في السماء.

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ : حركت الياء في موضع النصب لخفة الفتحة، ولم تنصرف لأنها قد صارت بمنزلة السالم "(١).

﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

- **أحدها:** أن يكون متعلقاً بـ﴿ وَجَعَلَ ﴾ الثانية، والتقدير: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات.
- **والثاني:** أن يكون حالاً من ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ وهو صفة له في الأصل.
- **والثالث:** أن يتعلق بـ﴿ وَجَعَلَ ﴾ الأولى، ويكون ﴿ وَجَعَلَ ﴾ الثاني مستأنفا "(٢).

والذي يناسب ما رجحته في تفسير الآية هو الوجه الثالث، فلا يتعلق بـ﴿ وَجَعَلَ ﴾ الثانية ؛ وهذا ما سأبينه في تفسير الآية.

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ﴾ يجوز أن يكون حالا من ضمير (اسم الله) فيما يصح من الأفعال التي قبله، وهي: رفع، وسخر، ويدبر، ويفصل، ومد، وجعل "(٣).

المعاني اللغوية:

" **مَدَّ اللهُ الأَرْضَ مَدًّا:** بَسطَها وسَوَّاها "(٤)، والمد: هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه(٥).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس: ٢ / ٣٥٠.

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢ / ٧٥٠.

(٣) المرجع السابق: ٢ / ٧٥٠.

(٤) تاج العروس (مادة: مد): ٩ / ١٥٥.

(٥) فتح القدير: ٣ / ٦٤.

والرواسي: وهي الجبال الثوابت، واحدها: راسية، لأن الأرض ترسو بها ؛ أي تثبت والإرساء: الثبوت. يقال: أرسيت الوتد في الأرض: إذا أثبته(١). **والأنهار**: " النهر مجرى الماء الفائض، وجمعه أنهار " (٢). وفي المحكم: " والنَّهَرُ من مجاري المياه "(٣) . **ويغشي**: " غشِيَه: ستره "(٤).

أقوال المفسرين في الآية:

الآية عطف على جملة ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ، وبين الجملتين شبه التضاد، ذكرت الآية الأولى الدلائل السماوية، واشتملت الآية الثانية على ذكر الدلائل الأرضية. والمعنى: أن الله سبحانه خالق جميع العوالم(٥).

الدلائل الأرضية:

أولاً: مدّ الأرض:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: بسطها وجعلها متسعة للسير والزرع، ممتدة في الطول والعرض لإخراج خيراتها ونعمها الكثيرة، لأنه سبحانه لو خلقها جبالا شاهقة متلاصقة لما تيسر العيش فيها والانتفاع بها والسير من مكان لآخر لطلب الرزق وغيره(٦).

(١) ينظر: لسان العرب (مادة: رسا): ١٤ / ٣٢١.

(٢) المفردات في غريب القرآن (مادة: نهر): ٥٠٦.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل المُرسي النحوي اللغوي الأندلسي (مادة: نهر): ٤ / ٣٠٢.

(٤) تاج العروس (مادة: غشي): ٣٩/ ١٦٦.

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٠١، تفسير القرطبي: ٩ / ٢٨٠، فتح القدير: ٣ / ٦٤، التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٨.

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ١٣ / ٩٦، تفسير القرطبي: ٩ / ٢٨٠، تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٠١، فتح القدير: ٣ / ٦٤، تفسير القاسمي: ٩ / ٣٢٤.

قال **القرطبي**(١): " في هذه الآية رد على من زعم أن الأرض كالكرة ". اهـ(٢).
وقد عاش القرطبي في القرن السابع الهجري ؛ في الوقت الذي لم يكن العلم قد تقدم. أما الآن فقد استقر الأمر في العلم الحديث على إثبات شبه كروية الأرض(٣) بتجارب قام بها العلماء وأن هذا المد الظاهر للبصر لا ينافي كرويتها في نفسها لتباعد أطرافها ؛ فلو لم تكن الأرض شبه كروية لكان لها أطراف تنتهي إليها ؛ فكرويتها دليل على مدِّها.

ثانيـًا: جعل الرواسي والأنهار:

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ فالله ﷻ أرسى الأرض بجبال راسيات شامخات أوتاداً لها، وأجرى فيها الأنهار والعيون والجداول لتكثير النبات والأشجار وحفظ الحيوان. وتقَدَّم الجار والمجرور ﴿ فِيهَا ﴾ على متعلقه ﴿ رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ ؛ وهذا لون من ألوان البلاغة والغرض منه هنا الاهتمام بالمقدم والاختصاص(٤) ؛ فالله جعل في الأرض لا غيرها رواسي وأنهاراً، وهذه من النعم الذي امتنَّ الله على عباده ومن دلائل

(١) القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر)، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن ويعرف بـ (تفسير القرطبي)، وقمع الحرص بالزهد والقناعة، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، والتقريب لكتاب التمهيد وغير ذلك، ت سنة ٦٧١ هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي: ١ / ٣١٧، طبقات المفسرين ٢: ١ / ٢٤٦، نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني: ٢ / ٦٨٥، شذرات الذهب: ٣ / ٣٣٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٩ / ٢٨٠.

(٣) ينظر: مقال: (إثبات كروية الأرض) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. المصدر: (الأدلة المادية على وجود الله) لفضيلة الشيخ متولي الشعراوي. موقع: www.kettanah.com.

(٤) ينظر: البرهان للزركشي: ٣ / ٣٠٤، ٣٠٥.

قدرة الله وعجائبه في الكون.

وتنكير ﴿ رَوَاسِيَ ﴾ للتكثير ، فهو يدل كثرة الجبال على سطح الأرض التي تعمل على إرساء الأرض كالأوتاد، وهذا ما نراه ظاهراً، أو للتعظيم ؛ لعظم خلق الجبال(١) ، أو يحتمل إفادة التبعيض ؛ لأن في السماء جبالاً. قال الله تعالى: ﴿ ... وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ .. ﴾ . [سورة النور: ٤٣]. (٢)

والتنكير في ﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾ لكثرة الأنهار ؛ فلو أُلقيت نظرة على خريطة الارض يُرى في معظم انحائها خطوطـًا أفعوانية تتلوّى مجتازة السهول والصحاري والمروج ؛ فما هي هذه الخطوط ؟ إنها الأنهار شرايين كوكب الأرض النابضة بالحياة التى تشهد على حكمة وقدرة خالق الارض. وقد نشأت إحدى الحضارات الباكرة في الأودية الخصبة المجاورة لنهرَي دجلة والفرات ؛ كما وُجدت حضارات عريقة في غيرهم من الأنهار .

ولا عجب اذًا أن يقف الانسان مذهولاً أمام عظمة الأنهار، سخائها، وجمالها. وأحد الأمثلة على ذلك هو نهر النيل في مصر الذي يبلغ طوله ٦،٦٥٠ كيلومترا تقريبا. أما النهر الأغزر في العالم فهو نهر الأمازون الواقع في أميركا الجنوبية. وفي حين أن الأنهار الكبيرة توحى بالوفرة والخصوبة، فإن الأنهار الغزيرة الأصغر حجماً جميلة للغاية أيضـًا(٣) .

والجبال مستودع الأنهار، ولذلك قرن بينهما وعبر بالأنهار ولم يعبر بالبحار .

فإن أكبر انهار العالم تنبع من الجبال ؛ ففي اميركا الشمالية مثلاً يتغذّى نهرا [كولورادو

(١) ينظر: المرجع السابق: ٤ / ٨٠.

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري: ٢ / ٤٨٣.

(٣) ينظر: الموسوعة الجغرافية المصغرة. موقع: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Gography١١/geography/sec١١٢٢.htm، الموسوعة المائية: موقع: http://www.water-encyclopedia.com/blog/?p=٢٢٢٢.

وريو] غراندي العظيمان بشكل رئيسي من جبال روكي، كما يعتمد حوالي نصف سكان العالم الذين يعيشون في جنوب وشرق قارة آسيا على الأمطار والثلوج المتساقطة على سلاسل الجبال العظمى.في الهملايا وغيرها.

ومن الحقائق العلمية أن: « الجبال هي خزانات المياه في العالم، وهي تلعب دوراً مهمـًا في دعم كافة أشكال الحياة على الارض، ولا غنى عنها لخير البشر في كل مكان، وأن ما يحدث في أعلى قمة جبلية يؤثر في الحياة في المنخفضات وفي المياه العذبة وحتى في البحار ». ففي بلدان عديدة تحفظ الجبال الثلوج الهاطلة في الشتاء، ثم تذوب هذه الثلوج ببطء خلال الربيع والصيف مزوِّدة المياه. وغالبا ما يعتمد الري في المناطق القاحلة من الارض على المياه الآتية من ذوبان الثلوج في الجبال البعيدة. كما أن منحدرات جبال كثيرة هي مكسوة بالغابات التي تمتص مياه الامطار كالاسفنج، فتجري بعد ذلك برفق إلى الأنهار، بدل ان تندفع في فيضانات مدمّرة(١).

ثالثـًا: جعل الثمرات وأشجارها:

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ :

قال الطاهر بن عاشور: " والمراد بـ ﴿ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ هي وأشجارها، وإنما ذكرت ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ لأنها موضع منة مع العبرة كقوله: ﴿ ... فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ... ﴾. [سورة الأعراف: ٥٧]. ". اهـ(٢) .

رابعـًا: جعل الزوجية في كل شيء:

﴿ ... وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ أَكْثَرَ.. ﴾ والزوج هنا: " الصنف الواحد

---

(١) ينظر: مقال: (الجبال.. لماذا نحتاج إليها ؟). المصدر: (موقع: مكتبة برج المراقبة الالكترونية). موقع: ١٠٢٠٠٥٢٠١/lp-a/٣٩http://wol.jw.org/ar/wol/d/r .

(٢) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٣٩ .

الذي هو نقيض الاثنين، يعني أنه حين مد الأرض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت"[1].

وفي تفسيرها قولان:

القول الأول: أن جملة ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ابتداء كلام تتعلق بالفعل الذي بعده ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي: جعل كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين:

- إما في اللون: كالبياض والسواد ونحوهما.
- أو في الكيفية: كالحر والبرد.
- أو في القدر: كالصغر والكبر.
- أو في الطعم: كالحلو والحامض ونحوهما. وبهذا فسر أكثر المفسرين[2].

القول الثاني: أن جملة ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ مستأنفة ؛ فكل شيء خلقه الله يتألف من زوجين (ذكر وأنثى)[3]. وخص الطاهر بن عاشور الزوجية بالزوجية في جنس الحيوان، وأن جملة ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ مستأنفة للاهتمام بهذا الجنس

---

(١) البحر المحيط: ٥ / ٣٥٥.

(٢) اختار هذا القول من المفسرين: الطبري، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي والعز بن عبد السلام، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، ابن كثير، وأبو حيان، والثعالبي، والسيوطي والمحلى، وأبو السعود والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي. ينظر: تفسير الطبري: ٢٧ / ٨، تفسير السمعاني: ٣ / ٧٦، تفسير البغوي المسمَّى (لباب التأويل في معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي: ٣ / ٦، الكشاف: ٢ / ٤٨٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣ / ٢٩١، زاد المسير: ٤ / ٣٠٢، التفسير الكبير: ١٩ / ٥، تفسير العز بن عبد السلام: ٢ / ١٤٣، تفسير القرطبي: ٩ / ٢٨٠، ٢٨١، تفسير البيضاوي: ٣ / ٣١٧، تفسير النسفي: ٢ / ٢٠٩، تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٠١، البحر المحيط: ٥ / ٣٥٤، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٦٤، تفسير الجلالين لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي: ٣٢١، تفسير أبو السعود: ٥ / ٤، فتح القدير: ٣ / ٦٤، روح المعاني: ١٣ / ١٠٠، ١٠١، تفسير القاسمي: ٩ / ٣٢٦، أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي: ٢ / ٢٢٢.

(٣) اختار هذا القول سيد قطب. ينظر: الظلال: ٤ / ٢٠٤٦.

من المخلوقات، وأنه خلق من ذكر وأنثى(١).

وأشار **الفراء**(٢) إلى أن في كل ثمرة ذكر وأنثى، وقد اعترض القرطبي على ذلك، فقال: " وهذا خلاف النص ". اهـ(٣).

وردَّ ابن عاشور القول الأول بقوله: " ويبعده أنه:

- لا نكتة في تقديم الجار والمجرور على عامله على هذا التقدير، لأن جميع المذكور محل اهتمام فلا خصوصية للثمرات هنا.
- ولأن الثمرات لا يتحقق فيها وجود أزواج ولا كون الزوجين اثنين.
- وأيضاً فيه فوات المنة بخلق الحيوان وتناسله مع أن منه معظم نفعهم ومعاشهم.
- ومما يقرب ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾. [سورة النبأ: ٦ – ٨].

والمعروف أن الزوجين الذكر والأنثى. قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [سورة القيامة: ٣٩]. ". اهـ(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٣٩، ١٤٠. وسيأتي الحديث عن موقف العلم التجريبي لاحقاً في البحث.

(٢) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكريا، المعروف بالفَرَّاء: إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفرَّاء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفرَّاء ما كانت اللغة. وكان مع تقدّمه في اللغة فقيهاً متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب يميل إلى الاعتزال، اشتهر بالفرَّاء ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام من كتبه: المقصور والممدود، ومعاني القرآن، والمذكر والمؤنث واللغات والفاخر، ومشكل اللغة وغير ذلك، ت في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ. ينظر: تاريخ بغداد: ١٤ / ١٤٩ – ١٥٥، وفيات الأعيان: ٦ / ١٧٦، سير أعلام النبلاء: ١٠ / ١١٨، شذرات الذهب: ١ / ١٩.

(٣) تفسير القرطبي: ٩ / ٢٨٠.

(٤) تفسير القرطبي: ١٢ / ١٣٩.

" فينبغي الوقف على ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وبذلك انتهى تعداد المخلوقات المتصلة بالأرض وهذا أحسن تفسيراً. ويعضده نظيره في قوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .[سورة النحل: ١١]. "(١).

أما قول الطاهر بن عاشور: " ولأن الثمرات لا يتحقق فيها وجود أزواج ولا كون الزوجين اثنين " فمردود، فقد أثبت علم النبات في آخر أبحاثه الزوجية في النبات، ووجود عضو ذكري وعضو أنثوي في تركيب الزهرة(٢).

وقال الطبري عند تفسيره آية أخرى تقاربها وهي قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الذاريات: ٤٩].:

(واختلف في معنى: ﴿ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾: فقال بعضهم: عنى به: ومن كل شيء خلقنا نوعين مختلفين: كالشقاء والسعادة، والهدى والضلالة ونحو ذلك....

قال مجاهد: في قوله ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾ قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجن... وقال آخرون: عنى بالزوجين: الذكر والأنثى.....

وأولى القولين في ذلك قول مجاهد: وهو أن الله تبارك وتعالى خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيًا له مخالفًا في معناه ؛ فكل واحد منهما زوج للآخر ولذلك قيل: ﴿ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾) . اهـ(٣).

والذي أراه – والله أعلم – أن **القول الثاني هو الأرجح**، بل وأبعد من هذا بأن يكون كل

(١) المرجع السابق: ١٢ / ١٣٩.

(٢) ينظر: مقال (الزوجية في الكائنات الحية) للدكتور ميسرة نصوح السعدي، والدكتور توفيق التميمي. موقع: www.islamset.com. وقد عرض البحث أمثلة للزوجية في النبات.

(٣) تفسير الطبري: ٢٧ / ٨.

شيء خلقه الله منه زوجين ذكر وأنثى، أي طرفين متقابلين ؛ فقد أثبت العلم الحديث أن كل شيء خلقه الله منه زوجين اثنين، فالزوجية قاعدة الخلق في الكون كله، فالأشياء زوجية والأحياء زوجية (النبات والحيوان)، حتى تركيب النواة في الذرة من زوجين: من الكترونات سالبة وبروتونات موجبة(١). والله أعلم.

وهكذا نجد العلم الحديث يتوصل لحقائق أخبرنا عنها القرآن الكريم وأومأ إليها قبل ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمان، فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي أعجز خلقه فكل ما جاء به هو الحق ﴿أَكْثَرَ..وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾. فالخلق خلق الله، والقرآن كلام الله، فيستحيل أن يتعارضا، وحقائق العلم اليقينية وما توصل إليه تبين سبق القرآن الكريم إلى تقرير تلك الحقائق في كتاب الله الحق المبين على لسان النبي الأمي ﷺ.

رابعًا: إغشاء الليل النهار:

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ : يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته، فيصير أسود مظلماً بعدما كان منيراً أبيض. وهنا تشبيه ؛ شبه ﷻ به ذهاب نور الهدى واليقين بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية، أي يستر النهار بالليل(٢).

فالإغشاء: حقيقي فالليل يستر النهار بظلمته، **ومجازي** أيضاً فالإغشاء مستعار للخفاء، لأن النهار يزيل أثر الليل والليل يزيل أثر النهار. وشبه ظهور ظلام الليل في الأفق ممتدا من المشرق إلى المغرب عند الغروب واختفاء نور النهار في الأفق ساقطا من المشرق إلى المغرب حتى يعم الظلام الأفق بطلب الليل النهار على طريقة

(١) ينظر: مقال (الزوجية في الكائنات الحية) موقع: www.islamset.com. وقد عرض البحث أمثلة للزوجية في النبات والحيوان وتركيب الذرة أيضاً. والغاية من هذا البحث تعريف ما توصل إليه العلم وما صل إليه من أن كل شيء زوجي.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٣/ ٦٤، تفسير القاسمي: ٩/ ٣٢٧.

التمثيل، وكذلك يفهم تشبيه امتداد ضوء الفجر في الأفق من المشرق إلى المغرب واختفاء ظلام الليل في الأفق ساقطا في المغرب حتى يعم الضياء الأفق (١). ويجعل كلا من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر.

وعند التأمل في أوصاف القرآن الكريم للَّيل والنهار نجد مترادفات أخرى للفعل (يغشي) وهي:

١. تارة يصفها **بالخِلفة**: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً مَن .. ﴾. [سورة الفرقان: ٦٢]. أي: هذا خلف من هذا، يذهب هذا ويجيء هذا.

٢. وتارة يصفها **بالسَّلخ**: قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة يس: ٦٢]. وانسلخ: خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيء من ضوئه ؛ لأن النهار مكور على الليل، فإذا زال ضوءه بقي الليل غاسقاً قد غشي الناس.

٣. ومرة يصفها **بالولوج**: قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ ... ﴾ [سورة لقمان : ٦٢]. ومعنى الولوج: الدخول، ومعناه هنا أي: يزيد من هذا في ذلك، ومن ذلك في هذا .

٤. وأخرى **بالتكوير**: قال تعالى: ﴿ ...يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ قُلۡ.. ﴾. [سورة الزمر : ٥]. والتكوير: الضم، ومعناه هنا: أي يدخل هذا على هذا، وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها (٢).

وللفعل (يغشي) دلالة زمنية تمثلت بالدورة الزمنية لتعاقب الليل والنهار، ووصفاً

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢ / ١٤٠. وينظر: ٩ / ١٦٧ [معنى (يغشي) في آية سورة الأعراف رقم ٥٤].
(٢) لسان العرب (مادة: خلف): ٥ / ١٣١، (مادة: سلخ): ٧ / ٢٢٨، (مادة: ولج:): ١٥ / ٢٧٥.

لإغشاء الليل للنهار وما يدل عليه من التلبس والتغطية والستر ، وكأن الليل يلبس النهار مكانه فيصير أسود مظلماً بعد أن كان بيضاء منيراً.(١)

** لماذا جيء بالفعل المضارع ﴿ يُغْشِى ﴾ وما ذكر قبلها من الدلائل الأرضية بالماضي ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ﴾ ؟

لأن الأشياء المتقدم ذكرها جعل ثابت مستمر، إما إغشاء الليل النهار فهو أمر متجدد كل يوم وليلة. وذكره مع الدلائل الأرضية في غاية الدقة العلمية ؛ لأن الليل والنهار من من أعراض الكرة الأرضية بحسب اتجاهها إلى الشمس ؛ وليسا من الدلائل السماوية ؛ إذ الشمس والكواكب لا يتغير حالها بظلمة وضياء(٢).

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: فيما ذكر من مد الأرض وإثباتها بالجبال وجريان الأنهار، وما جعله الله فيها من الثمرات، والأصناف المتزاوجة، وتعاقب النور والظلمة آيات ودلائل وحجج بينة واضحة للناظرين المتفكرين المعتبرين، فيستدلون بأن خلق ما ذكر على هذا الخلق البديع لابد له من إله قادر حكيم !(٣)

وأجرى صفة التفكير على لفظ (قوم) إشارة إلى ان الصفة الراسخة فيهم هي التفكير المتكرر المتجدد، أي من مقومات قوميتهم ؛ أي جبلتهم، وفي هذا إيماء للملحدين للذين قالوا: خلقت الطبيعة صدفة. أو الطبائعيين الذين يقولون: الطبيعة خلقت نفسها بنفسها. فقولهم هذا يدل على تفكير قاصر مخلوط بالأوهام ؛ وليس هو ما تقتضيه

(١) ينظر: الفعل [يغشي] في القرآن الكريم / دراسة في تحولاته الدلالية والأسلوبية، إعداد: د. إسراء مؤيد رشيد، جامعة بغداد، نشر في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية (المجلد الثالث/ العدد١٢/ ٢٠١١ م).

(٢) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٤٠. بتصرف يسير، وينظر: تفسير القاسمي ٩ / ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٩٦، تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨١، تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠١، فتح القدير: ٣/ ٦٤، تفسير القاسمي: ٩/ ٣٢٧، التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤٠.

نعمة العقل والفكر الذين أعطاهما الله إياها(١).

ثانيًا: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . [آية: ٤].

أوجه القراءات والإعراب في الآية:

أوجه القراءات:

واختلف في: ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ :

قرأ الجمهور: (وزرعٍ ونخيلٍ) بالجر عطفًا على ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾ أي: وجناتٌ من أعنابٍ ومن زرعٍ ومن نخيلٍ، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب بالرفع ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ عطفًا على ﴿ قِطَعٌ ﴾ أي: في الأرض قطعٌ متجاورات وفيها جناتٌ من أعنابٍ وفيها أيضًا زرعٌ ونخيلٌ .

فكل قراءة بيَّنت صورة مختلفة للطبيعة الخلابة، من جنات الأعناب (منفردة) ، وزروعٍ ونخيلٍ.. ومن جناتٍ مشتملة على الأعناب، والنخيل، والزروع ؛ فتنوُّع النَّظم أظهر تنوُّع الطبيعة. والله أعلم.

وقرأ الجمهور: (صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ) بجرِّ (صنوان) وجر (غيرِ) تبعًا لـ ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾ وقرأها ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوبُ بالرفع ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ لكونه تابعا لـ ﴿ وَنَخِيلٌ ﴾ ﴿ وَغَيْرُ ﴾ لعطفه عليه، وافقهم ابن محيصن واليزيدي.

واختلف في: ﴿ يُسْقَىٰ ﴾:

قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: بالياء من تحت، **وافقهم** ابن محيصن، والحسن، أي: ﴿ يُسْقَىٰ ﴾ .

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤١.

وقرأ الجمهور: بالتأنيث مراعاة للفظ ما تقدم، وأمالها حمزة والكسائي وخلف، وقلَّلها الأزرق بخلفه.

واختلف في: ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف بالياء من تحت (ويفضل) وافقهم ابن محيصن والأعمش.

وقرأ الجمهور ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ بنون العظمة.

وقرأ: (الأكْل) بسكون الكاف نافع، وابن كثير(١).

أوجه الإعراب:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ الجمهور على الرفع بالابتداء، أو فاعل الظرف.

﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ : عطف على ﴿ قِطَعٌ ﴾ .

﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ :

- ويجوز أن يكون (وزرعٍ) في موضع خفض عطفًا على ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾ : (وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ) بالخفض قراءة أهل المدينة وأهل الكوفة.
- وقرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحفص ﴿ وَزَرْعٌ ﴾ بالرفع وما بعده مثله.

وضعَّف قومٌ القراءة بالخفض ؛ لأن الزَّرع ليس من الجَّنات.

قال الأصمعي: قلت لأبي عمرو بن العلاء: كيف لا تقرأ (وزرعٍ) بالجر ؟ فقال: الجنات لا تكون من الزرع. قال أبو جعفر: هذا الذي قاله أبو عمرو – رحمه الله – لا يلزم من قرأ بالجر ؛ لأن بعده ذكر النخيل، وإذا اجتمع مع النخيل الزرع قيل لهما: جنة. وحكي عن محمد بن يزيد أنه قال: (وزرعٍ ونخيلٍ) بالخفض أولى لأنه أقرب إليه. واحتج بحكاية سيبويه: خشنت بصدره وصدر زيد. وأن الجر أولى من النصب لقربه

---

(١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٣٣٨.

منه، كذا (وزرعٍ) أولى لقربه من ﴿ أَعۡنَٰبٍ ﴾ .

وقال آخرون: قد يكون في الجنة زرع، ولكن بين النخيل والأعناب.

وقيل: التقدير: (ونبات زرعٍ) فعطفه على المعنى.

و ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ على الاستئناف.

و ﴿ بَعۡضَهَا ﴾ يجوز أن يكون ظرفاً لـ ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ ، وأن يكون متعلقاً بمحذوف على أن يكون حالا من ﴿ بَعۡضَهَا ﴾ أي: نفضل بعضها مأكولاً.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ في موضع خفض، أي: عقلاء[1].

المعاني اللغوية:

القطع: " جمع قِطعة – بكسر القاف –: " والقِطْعَةُ: طائِفَةٌ تُقْطَعُ من الشَّيءِ "[2] ....

والنخيل: " النخل معروف، وقد يستعمل في الواحد والجمع. قال تعالى: ﴿ ... تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ . [سورة القمر: ٢٠].... وقال تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾. [سورة ق: ١٠]. وجمعه: نخيل "[3]، **وصنوان:** وهي جمع (صِنْو) بكسر الصاد في الأفصح فيهما وهي لغة الحجاز، وبضمها فيهما أيضاً (صُنْو) وهي لغة تميم وقيس. وهذا من صفة النخيل والصنو: النخلة المجتمعة مع نخلة أخرى نابتتين في أصل واحد، ثم يتفرع فيصير نخيلا، ثم يحمل، **وغير الصنوان:** المتفرق. وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير، ومنه قول النبي ﷺ: "... عم الرجل صنو أبيه "[4]. ولا فرق فيها بين التثنية والجمع، فالعرب تجمع الصنو صنوان، ولا بالإعراب: فتعرب نون

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٣٥٠، ٣٥١، التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/ ٧٥٠، ٧٥١.

(٢) تاج العروس (مادة: قطع): ٢٢/ ٣٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن (مادة: نخل): ٤٨٦.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كِتَاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها (٩٨٣): ٢/ ٦٧٦. عن أبي هريرة ﷺ.

الجمع وتكسر نون التثنية(١).

أقوال المفسرين في الآية:

أوضح الطاهر بن عاشور بلاغة القرآن في تغيير الأسلوب عند الإنتقال إلى ذكر النعم الدالة على قدرة الله فيما يسر للناس وألهمهم إلى العمل في الأرض بفلحها وحرثها وغرسها وزرعها، فجاء هذا معطوفاً على الأمور التي أسند جعْلها إلى الله تعالى ؛ ولكنه لم يسند إلى الله حتى بلغ إلى قوله: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ فتفضيل بعض الثمرات على بعض يكون بأسرار أودعها الله تعالى، وأمثال مثل هذه العبر مما انفرد بذكرها القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية(٢).

* * لماذا أعيد اسم ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾ الظاهر دون الضمير، وأصل انتظام الكلام أن يقال: جعل فيها زوجين اثنين، وفيها قطع متجاورات ؟

أعيد اسم ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾ ليستقل الكلام ويتجدد، فذلك فيه توضيح وبيان(٣).

تابع الدلائل الأرضية:

خامساً: جعل في الأرض:

قطع متجاورات، وبساتين من أعناب، وزرع ونخيل: متقاربة في الخلقة، مختلفة في الطعوم والألوان، مع أنهم يسقون بماء واحد ؛ مع تفضيل بعضها على بعض في الأكل..

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ : هذا كلام مستأنف مشتمل على ذكر نوع آخر من أنواع الآيات. قيل: وفي الكلام حذف. أي قطع متجاورات وغير متجاورات. كما في

---

(١) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام: ٢/ ١٥، المفردات في غريب القرآن (مادة: صنو): ٢٨٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤١. بتصرف يسير.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤١.

قوله تعالى: ﴿ ... وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ يَوْمَ .. ﴾ . [سورة النحل: ٨١].
أي: وتقيكم البرد، فالأرض المزروعة قد تكون متجاورة وقد تكون متباعدة .
وعلى هذا في معنى ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ قولان:

- أحدهما: أنها المدن وما كان عامرا، لأن غير المتجاورات: الصحاري وما كان غير عامر.
- والثاني: متجاورات: متدانيات ؛ ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زرع وجنات ثم تتفاوت فى الثمار، فيكون البعض حلوا، والبعض حامضا، والبعض طيباً والبعض غير طيب، والبعض يصلح فيه نوع، والبعض الآخر نوع آخر.

أو أنها الأرض السبخة والأرض العذبة، تنبت هذه وهذه إلى جنبها لا تنبت، وهذا قول أكثر المفسرين(١).

قال ابن كثير: " ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة، وهذه سهلة، وهذه مرملة وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات، فهذه نصفها وهذه نصفها الآخر، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار ؛ الله لا إله إلا هو ولا رب سواه ". اهـ(٢).

﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ أي: بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضاً متقاربة في الخلقة، مختلفة في الطعوم والألوان، مع أنهم يسقون بماء واحد وهو ماء المطر، أو ماء النهر. فمن طيب طعمه منها حسن منظره طيبة رائحته، ومن حامض طعمه ولا رائحة له(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٩٧، زاد المسير: ٤/ ٣٠٢، تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨١، تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠١، فتح القدير: ٣/ ٦٥، تفسير القاسمي: ٩/ ٣٢٧، التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤٣.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ قال: "الفارسي، والدقل[١]، والحلو، والحامض "[٢].

وخص سبحانه التفضيل في ﴿ ٱلْأُكُلِ ﴾ لأن التفاضل يظهر بالمأكول، وذلك لتفاضله في الطعم[٣].

قال القرطبي: " والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد، وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته، فإنه نبه سبحانه بقوله: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته، وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع ؛ إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف، وقيل: وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع، فمن تربة عذبة، ومن تربة سبخة، مع تجاورهما، وهذا أيضا من دلالات كمال قدرته جل وعز " ". اهـ[٤].

إذن سبب الاختلاف بين القطع المتجاورة والجنات المتلاصقة المشتملة على أنواع النبات مع كونها تسقى بماء واحد وتتفاضل في الطعوم والألوان في نظر من له عقل إلا عظيم القدرة الباهرة والخلق البديع. ولهذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) والفارسي: نوع من التمر، والدقل – بفتحتين – رديء التمر ويابسه. ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري: ٨/ ٤٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد (٣١١٨): ٥/ ٢٩٤. عن أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٤٣.

(٤) تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨١. وقد أبطل ابن الجوزي قبله قول الطبائعيين بهذه الآية ودلالاتها. ينظر: زاد المسير: ٤/ ٣٠٢.

يَعۡقِلُونَ ﴾ (١) ، فإن من عقل أن الله قادر على هذا فهو قادر على إعادة ما أبدأه ؛ بل هو أهون في القياس(٢).

" قال الحسن: المراد بهذه الآية المثل ؛ ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد، وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر، كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد"(٣).

التفسير الإجمالي للآيات :

تبدأ الآيات الكريمة في استعراض آيات القدرة، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره للأمور ؛ في العالمين: العالم العلوي السمائي: من رفع السموات السبع بغير عمد مرئية، وتسخير الشمس والقمر، وتدبير الأمور، والعالم السفلي الأرضي: من مدّ الأرض، وجعل الرواسي والأنهار والثمرات، وجعل من كل شيء زوجين اثنين، وإغشاء الليل النهار، ووجود الأراضي المتجاورة والبساتين من الأعناب والزرع والنخيل المجتمع والمتفرق والذي يسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الطعم.. فلننظر إلى الكون من حولنا.. سماء بلا أعمدة نراها، وأرض مبسوطة ممتدة، جبال شامخة شاهقة، أشجار وثمار، إذا قلبت نظرك قي إبداعات الخالق فلن يزداد قلبك إلاَّ حباً وتعظيماً..

هل تأملت الآيات ؟.. أرض سبخة مالحة لا تُنبت شيئاً، وأرض طيبة فيها البساتين والزروع المختلفة، كل ذلك في تربة واحدة، ويسقى بماء واحد، ولكنه يختلف في الثمار والحجم والطعم واللون وغير ذلك، فهذا حلو وهذا حامض، وبعضها أفضل من بعض في الأكل.

(١) ينظر: فتح القدير: ٣/ ٦٥.

(٢) ينظر: تفسير القاسمي: ٩/ ٣٢٨.

(٣) تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨٣.

[إنَّ في ذلك لعلامات لمن كان له قلب يعقل !] سبحانك ربي ما أعظمك..

الآيات تدعونا لإعمال العقل والفكر .. هل تأملت عجيب صنع الله ؟ [ستدرك أنَّ لهذا الكون خالقاً.. لا يمكن أن يكون له شريك في الخلق ولا في الرزق ولا في تدبير الأمور]..

التفكُّر في عجائب صنع السموات والأرض يثبت الإيمان في القلوب... [إذا لا تصدر إلا عن خالقٍ حيٍّ قيُّومٍ قديرٍ].. فلنركن إلى القويِّ ونتوكل عليه.

تأمَّلْ تفكَّر.. تصفو نفسك وتنتعش روحك وتتعلق بخالقك الذي بيده سبحانه سعادتك. أتدركُ عظمة الله وسعة قدرته وتيأس بعدها ؟!.. لا والله.. بل تزداد يقيناً.

فهذه الآيات كلها تبرهن على وجود الخالق العظيم ؛ وأنه لابد من وحي لتبصير الناس وتوجيههم وإرشادهم، وأن يكون هناك بعث لحساب الناس ؛ فمن قدر على هذا الخلق البديع قادر على إعادتهم مرة أخرى، وأنه سخر لهم هذا الكون ليبلوهم أيهم أحسن عملا. فالله هو الحق، وقرآنه حق، واتّباعه حق، وبعد إظهار كل هذا الحق يشكك المشركون بالبعث بعد الموت، فليتفكروا في عظيم خلق الله في الكون.

[سُبحانك ربِّي ما أعظمَك.. ما عبدْناك حقَّ عبَادتِك ولا شكَرناك حقَّ شُكْرك]..

وأيضاً في هذا ضرب للمثل على المنتفع بهدى الله وغيره ممن سمع آيات القرآن الحكيم فاهتدى الأول وانتفع، وضل الآخر وزاد خسارة ؛ مع أن المنزل واحد ؛ كما الثمار تسقى بماء واحد ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾. [سورة الإسراء: ٨٢].

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني وأعانني بمنِّه وفضله على إتمام هذا البحث المتواضع حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه، وأسأله سبحانه أن يكون حجَّة لي لا عليّ،، والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه وخليله وصفيِّه نبيِّنا وحبيبنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

فبعد هذه **الدراسة المتأنية التفسيرية التحليلية** لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾. [٢ – ٤] **من سورة الرعد** يمكنني أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: إن سورة الرعد من السور القرآنية التي تتحدث عن هذا الكون المليء الزاخر بآيات الله وعجائب قدرته سبحانه – وتزخر بذلك كثير من سور القرآن العظيم –، وعند الإمعان والنظر في آياتها وبعدما عرفت جانبا من مقاصدها أخذت من نفسي كل مأخذ وكأنها تقرع سمعي لأول مرة، فاشتاقت نفسي إلى دراستها دراسة تفسيرية تدبرية، وعندما شرعت في تفسيرها أحسست بمعنى كل كلمة ؛ فكل كلمة مرادة مقصودة ولها معنى دقيق ؛ ولا عجب فالكلام كلام الله !.

ثانيـًا: إن الموضوع الرئيس لسورة الرعد هو العقيدة وقضاياها، وهذه القضايا لا تعرض عرضا جدليـًا بارداً ؛ فهذا الكون كله بكل ما فيه من عجائب هي براهين هذه القضايا وآياتها.

ثالثـًا: يبدأ ﷻ في استعراض آيات القدرة، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره للأمور ؛ في العالمين: العالم العلوي السمائي: من رفع السموات

السبع بغير عمد مرئية، وتسخير الشمس والقمر، وتدبير الأمور، والعالم السفلي الأرضي: من مدّ الأرض، وجعل الرواسي والأنهار والثمرات، وجعل من كل شيء زوجين اثنين، وإغشاء الليل النهار، ووجود الأراضي المتجاورة والبساتين من الأعناب والزرع والنخيل المجتمع والمتفرق والذي يسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الطعم.. فهذه كلها تبرهن على وجود الخالق العظيم.

رابعـًا: جاءت الآيات تقرر كمال قدرة الله وعجيب خلقه في الكون كله، وكيف يدبر الأمر، ويفصل الآيات، ويمد الأرض ويغشي الليل النهار، فالله هو الحق، وقرآنه حق، واتّباعه حق، وبعد إظهار كل هذا الحق يشكك المشركون بالبعث بعد الموت، فليتفكروا في عظيم خلق الله في الكون.

خامسـًا: أظهرت الآيات وجوهـًا من وجوه الإعجاز وذلك في الجانب العلمي وهي:

- **رفع السموات على عمد غير مرئية** ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾
- في العلم الحديث عرف علماء الفلك كيفية رفع السموات على عمد غير مرئية عن طريق تلك السنة الكونية العجيبة المذهلة ؛ وهي سنة الجاذبية العامة.
- أثبت العلم الحديث أن كل شيء خلقه الله منه زوجين اثنين، فالزوجية قاعدة الخلق في الكون كله، فالأشياء زوجية والأحياء زوجية (النبات والحيوان)، حتى تركيب النواة في الذرة من زوجين: من الكترونات سالبة، وبروتونات موجبة لتبقى الوحدانية خاصة بالذات الإلهية. والله أعلم.

وهكذا نجد العلم الحديث يتوصل لحقائق أخبرنا عنها القرآن الكريم وأومأ إليها قبل ما يقارب أربعة عشر قرنـًا من الزمان، فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي أعجز خلقه فكل ما جاء به هو الحق. وهذا ما قررته سورة الرعد في ابتدائها: ﴿ الٓمٓر..وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ **فالخلق خلق الله، والقرآن كلام الله، فيستحيل أن يتعارضا، وحقائق العلم اليقينية وما توصل إليه تبين سبق القرآن**

الكريم إلى تقرير تلك الحقائق في كتاب الله الحق المبين على لسان النبي الأمي ﷺ.

وختامـًا أسـأل الله ﷻ أن يرزقنـا الإخـلاص والتوفيـق، وأن يقينـا شـر مـصارع الجهـل والهوى فما أصبت فمـن الله وحـده ومـا أخطـأت فمـن نفـسي والـشيطان، وأستغفر الله تعالى من كل ذنـب وخطيئـة، والله تعـالى أعلـم وأحكـم وصـلى الله وسـلم عـلى محمـد وآله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊